المجلَّة الأردنيَّة في

اللُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة علميَّة عالميَّة محكّمة

المجلد (٣) العدد (٤) رمضان ١٤٢٨هـ / تشرين الأول ٢٠٠٧م

رئيس التحرير
أ.د سمير الدروبي

سكرتير التحرير
سالم سليمان الجعافرة

هيئة التحرير

أ.د. حسين عطوان — أ.د. نهاد الموسى
أ.د. يوسف بكار — أ.د. محمود مغالسة
أ.د. عبدالفتاح الحموز — أ.د. خالد الكركي

الهيئة الاستشارية للمجلة

أ.د عبدالكريم خليفة — أ.د ناصر الدين الأسد
أ.د محمود السمرة — أ.د شاكر الفحام
أ.د أحمد الضبيب — أ.د عبدالملك مرتاض
أ.د أحمد مطلوب — أ.د عبدالسلام المسدي
أ.د محمد بن شريفه — أ.د عبدالعزيز المقالح
أ.د عبدالعزيز المانع — أ.د عبدالقادر الرباعي
أ.د عبدالجليل عبدالمهدي — أ.د صلاح فضل

التدقيق اللغويّ

أ.د. حسام الدين مبيضين (انجليزي)
د. جزاء مصاروة (عربي)

التنضيد والاخراج الضوئيّ
نهلة عبدالكريم يونس

التدقيق الفني
نايف النوايسة

محتويات العدد

المجلد (٣) العدد (٤) رمضان ١٤٢٨هـ / تشرين الأول ٢٠٠٧م

البحوث باللغة العربية

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحات
• **منهجية الخليل في معجم العين**	د. محمد بن سالم المعشني	١١-٤٩
• **عمان في شعر حسن بكر العزازي**	د. حامد كساب عياط	٥١-٩١
• **لغات العرب في معجم العين**	د. وليد أحمد العناتي	٩٣-١٢٤
• **تجليات التناص في جدارية محمود درويش**	د. أحمد جبر شعث	١٢٥-١٥٧
• **الصراع بين الحياة والموت في شعر أبي فراس الحمداني**	د. صالح علي الشتيوي	١٥٩-١٧٨
• **الحس الأسطوري في بناء الشخصية الروائيّة عند الطيب صالح**	د. أحمد ياسين العرود	١٧٩-٢٠٤
• **جماليات التشكيل المكاني في مقامات بديع الزمان الهمذاني**	د. عبدالله محمد الغزالي	٢٠٥-٢٥٣
• **التناص القرآني في الشعر الأردني المعاصر: قصة يوسف عليه السلام نموذجاً**	د. عبدالباسط محمد الزيود	٢٥٥-٢٨٥
• **بناء الشخصيات في مسرح الطفل: دراسة نصية (الأميرة والببغاء أنموذجاً)**	د. ريم اخليف المرايات	٢٨٧-٣٠٧

منهجية الخليل في معجم العين

د. محمد بن سالم المعشني *

تاريخ تقديم البحث:١٦/٨/٢٠٠٦ تاريخ القبول: ٢١/١/٢٠٠٧

ملخّص

معجم العين للخليل بن أحمد واحد من الأعمال العظيمة الرائدة في تاريخ الدراسات العربية، إن لم يكن أعظمها وأكثرها أهمية. وهذا البحث يتكون من تمهيد وثلاثة مباحث، وقد تضمن التمهيد عدداً من الموضوعات، هي: عنوان الكتاب، وسبب تأليفه، ومصادره، أما المبحث الأول فعنوانه: الأسس الرئيسة التي قام عليها معجم العين، الأساس الأول: الترتيب الصوتي، والأساس الثاني: اعتبار الأبنية، والأساس الثالث: نظام التقليبات، وأما المبحث الثاني: منهج الخليل في ترتيب الألفاظ، ويتضمن: الترتيب الخارجي، والترتيب على مستوى الأبنية، والترتيب الداخلي. وأما المبحث الثالث: سمات منهج العين في عرض المادة اللغوية، ويتضمن : طرق الشرح المتبعة في العين، وضبط الألفاظ، وعرض الآراء اللغوية، وتناوله للهجات واللغات، والاهتمام بالمعرب والدخيل، وتناول قضايا نحوية وصرفية ولغوية، وطريقته في الاستشهاد، وكيفية الوصول إلى اللفظ في العين، والمآخذ على العين، . ومن أهم نتائجه:

١- معجم العين أول معجم شامل للألفاظ في العربية، و قد قام على أسس جديدة مبتكرة لم يسبق إليها أحدٌ قبل الخليل، وهي : ترتيب الحروف على أساس مخارجها، وتقسيمه للألفاظ العربية إلى أربعة أقسام بناءً على حروفها الأصلية، ثم حصره ألفاظ اللغة عن طريقة التقليبات للأبنية.

٢- استخدم الخليل في العين بعض طرق الشرح الأساسية، وبعض طرق الشرح المساعدة بشكل يتطابق مع ما هو متبع في المعاجم الحديثة، ووضع بعض القواعد الصوتية والصرفية التي أفاد منها في حصر الألفاظ.

٣- لم يقصر الخليل معجمه على المفردات وشرح معانيها، بل تناول كثيرا من القضايا النحوية والصرفية والإملائية واللغوية المختلفة، واهتم باللهجات وعني بالدخيل والمعرب.

٤- لم يسر على منهجية واحدة في الترتيب الداخلي للألفاظ، فقد يبدأ بفعل ماضٍ، وقد يبدأ بمشتق، و قد يبدأ بمصدر، وقد يبدأ باسم، والصيغة الواحدة من المادة ترد أكثر من مرة في أكثر من موقع من المعالجات داخل المدخل الواحد. يظهر أنّ الخليل كان مكثراً إلى حد ما من الشواهد القرآنية وشواهد الحديث مقارنة بغيره من اللغويين، وقد توسع في شواهده الشعرية، فلم يقف عند حدود المحافظين من اللغويين ؛ فاستشهد بشعر شعراء تحفَّظ عليهم علماء اللغة المحافظون.

* قسم اللغة العربية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

Abstract

Al-Ain Lexicon's Methodology Research

Dr: Muhammad al mashani

Al-Ain Lexicon written by Al-Khaleel bin Ahmed is considered one of the great pioneered masterpieces in the Arabic Studies History. This research discusses the methodology Al-Khaleel used in forming his Lexicon. The lexicon starts with an introduction comprising the title, the reasons behind compilation and the resources. The first chapter deals with the main principles of the lexicon. The second chapter focuses on the way the compiler used to categorize the terms. The third chapter is elaborate. It displays the features of the lexicon's approach in presenting the linguistic terms. It also shows the proper pronunciation of terms, states the opinions of other linguists and studies different accents. In addition, it deals with the borrowed terms, discusses the grammatical and linguistic issues, quotations from other literary works and explains the way to get the meanings of words.

The paper's most important outputs can be summarized as follows:

1. Al-Ain is the first extensive lexicon to cover a large scale of Arabic vocabulary. It places emphasis on some innovative aspects represented by the tendency to arrange letters as per their places of articulations and divide terms into four sections as per their original letters.
2. Al-Khaleel used some techniques of explanations that match those found in the modern lexicons. This is clearly indicated in his introduction, the methods and the ultimate goal for writing his lexicon.
3. He discusses many grammatical, inflectional and dictation issues and sheds light on the foreign terms and accents.
4. He didn't adopt a particular method in the arrangement of the terms, meaning that he sometimes starts with such syntactic constituents as the verb, the subject or the topic …etc. He also uses the same term and text more than once but in different contexts.
5. Al-Khaleel tended to use quotations from the Holy Quran and prophetic tradition, unlike many other old lexicographers and linguists who rarely quote from Quran and Hadith. Al-Khaleel also used quotations from poets whereas other language scholars were conservative towards them.

المقـــدمـــة:

تتفاوت الأعمال العلمية فيما بينها من حيث الأهمية والقيمة في عدة أمور، من أهمها: قابلية الأعمال الرائدة للبحث والدراسة بشكل مستمر دون توقف من جيل إلى جيل، وعصر إلى عصر. في حين أن الأعمال الأخرى التقليدية لا تمتلك هذه الميزة، ولا يكاد يقوم عنها بحث مهم أو جاد، لأنها لا تحمل أصالة علمية، ولا يجد فيها العلماء والباحثون ما يشدهم لدراستها خلافاً لما يجدون في الأعمال العلمية الكبيرة التي تظل تحظى بالاهتمام والعناية طيلة القرون ؛ بالنظر إلى ما فيها من الجدة، والابتكار، والجرأة، والدقة، والشمول، والإثارة، أو شيء من ذلك على الأقل. ويعد معجم العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/٧٩١م) واحدًا من هذه الأعمال العظيمة الرائدة في تاريخ الدراسات العربية، إن لم يكن أعظمها وأكثرها أهمية. وهذا البحث يتناول المنهجية التي قام بها

الخليل في معجم العين، فلا دراسة ــ مهما كانت أهميتها ــ تحجب الباحثين عن القيام بمزيد من الدراسات لما قام به الخليل من أعمال علمية رائدة في العربية ومن بينها كتاب معجم العين، فإن الحاجة لدراسة المعجم من هذه الزاوية أو تلك لا تتوقف ؛ نظراً لما لهذا المعجم من أهمية، وقد فتحت الدراسات اللغوية الحديثة آفاقاً جديدة أمام الباحثين لمزيد من البحوث في مجال المعاجم وغير ذلك من مجالات اللغة.

وهذا البحث يتكون من تمهيد وثلاثة مباحث، وقد تضمن التمهيد عدداً من الموضوعات، هي: عنوان الكتاب، وسبب تأليفه، ومصادره، أما المبحث الأول فعنوانه: الأسس الرئيسة التي قام عليها معجم العين ، الأساس الأول: الترتيب الصوتي، والأساس الثاني: اعتبار الأبنية، والأساس الثالث: نظام التقليبات، وأما المبحث الثاني: فمنهج الخليل في ترتيب الألفاظ، ويتضمن: الترتيب الخارجي، والترتيب على مستوى الأبنية، والترتيب الداخلي. وأما المبحث الثالث: فسمات منهج العين في عرض المادة اللغوية، ويتضمن : طرق الشرح المتبعة في العين، وضبط الألفاظ، وعرض الآراء اللغوية، وتناوله للهجات واللغات، والاهتمام بالمعرب والدخيل، وتناول قضايا نحوية وصرفية ولغوية، وطريقته في الاستشهاد، وكيفية الوصول إلى اللفظ في العين، والمآخذ على العين، وأخيراً: خاتمة البحث.

التمهيد:

١ - عنوان الكتاب

أطلق الخليل اسم العين على معجمه؛ لأن أول باب من أبوابه هو باب العين، وقد بدَأه بالعين وليست العين أول الحروف مخرجاً كما قد يوحي بدء الخليل كتابه بها، فقد أدرك الخليل أن الهمزة أعمق مخرجا من العين، ولكنه على الرغم من هذا لم يبدأ بها؛ لأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، ويلحقها النقص والتغيير والحذف، فهي حرف مضغوط إذا رُفَّ عنه انقلب ألفا أو واوا أو ياء.

ولم يبدأ بالهاء؛ لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزل إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء، ووجد العين أنصع الحرفين فابتدأ بها. [١] ولهذه الأسباب أخر الهمزة والهاء وبدأ بالعين لأن العين عنده أنصع الحروف. [٢] وذكر الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ/٩٩٥م) أن الهمزة والهاء وإن كان لهما التقدم في المخرج على أخواتهما من الحروف الحلقية، فإن الخليل عدل عن الابتداء بهما ؛ لأن

(١) السيوطي، جلال الدين،(ت٩١١هـ/١٥٠٥ م) **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**،تحقيق:محمد أبو الفضل وآخرين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ١٩٩٢م،ج١ ص٩٠.

(٢) السامرائي، إبراهيم، **الإبداع والمحاكاة في كتاب العين**،، دار الكرمل، عمان ٢٠٠١م،ص٨١.

الهمزة مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت ياء أو واواً أو ألفاً، وهذه طريقة تخالف الحروف الصحيحة. ثم إذا تسلط عليها من نقل الحركات والانقلاب والحذف مثل ما يتسلط على حروف العلة أو أكثر حتى عدت من جملتها، والهاء فيها هتَّةٌ وخفاء وتبدل من الهمزة وتشركها [١]. وورد في مقدمة العين أن الخليل أعمل فكره في أن يبتدئ تأليف العين على الطريقة الألـــف بائيـــة أ ب ت ث، ولكنه وجد حرف الألف معتلاً فلما فاته كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء، فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصيَّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منه في الحلق[٢].

٢ - سبب تأليفه

لقد كان الخليل في زمن ليس فيه معجم للعربية، و كانت العربية لغة دين يدخل الناس فيه أفواجا من كل عرق وجنس وثقافة، وكان المجتمع العربي الذي يقود الحضارة الجديدة والدين الجديد مشغولا بالفتوحات الإسلامية، ورد الفتن والحملات الخارجية، و تثبيت الاستقرار والولاء للدين والدولة على صعيد الجبهة الداخلية، ولا ريب أن تكون هذه القضايا الأساسية محتلة الترتيب الأول في قائمة الأولويات عند الخلفاء والأمراء والعلماء مدة من الزمن غير قصيرة، وكانت جهود الباحثين والعلماء تتركز على المباحث و الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالقرآن والحديث، ولم يكن أحد يفكر ــ فيما يبدو حينذاك ــ بأن تكون هناك حاجة علمية للعرب يوما ما لكتاب يرجعون إليه لمعرفة معاني ألفاظ لغتهم، لأن اللغة العربية كانت بشكل عام في متناول جميع العرب الذين يقوم أمر الدولة والدين على أكتافهم، ولكن الخليل بن أحمد لم يكن ليخفى عليه أن العربية ستتأثر بما كان يحدث من تغيرات اجتماعية وفكرية واقتصادية تحدث على نحو سريع على الساحة العربية برمتها، فأدرك أنه لابد من وضع كتاب يجمع اللغة التي تفرق أهلها في الأمصار، ومات منهم من مات في الغربة والجهاد مرابطاً أو شهيداً، وانكفأ من العرب الفصحاء من انكفأ في البوادي على نفسه بعيدا عن الأمصار فلم يؤثر أو يتأثر، وزحف قسم آخر من أهل البادية إلى الأمصار والحواضر طلبا لحياة أفضل فيها، فضاعت لغتهم وفصاحتهم، وأخذ قسم كبير من أبناء الخلفاء والأمراء يفقد لغته كونهم أبناء جوارٍ وأعجميات، وأخذ غير العرب يزيدون عددا وشأنا، والعرب على حالهم إن لم ينقصوا فلم يزيدوا؛ فهم مادة الجيوش الفاتحة وقبائلهم تهاجر وتنزح إلى الدول المفتوحة لأسباب مختلفة، وسيل الداخلين في الإسلام من الأمم والشعوب الأجنبية لم يتوقف،

(١) الصاحب بن عباد، (ت٣٨٥هـ /٩٩٥م) **معجم المحيط في اللغة**، تحقيق محمد آل ياسين، عالم الكتب، القاهرة، ص ٦٤.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد،(ت ١٧٥هـ/٧٩١م) **معجم العين**، تحقيق مهـــدي المخزومـــي وإبـــراهيم الـــسامرائي، ط٢ انتشارات أسوة، طهران (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ج٣، ص٤١.

فكانت هذه الأسباب كلها أو بعضها ــ على الأقل ــ في بال الخليل عندما فكر في تأليف معجم العين. فأراد الخليل من هذا الكتاب أن يستوعب فيه كلام العرب الواضح والغريب كما ذكر في مقدمة العين[١].

٣ -مصادره

المعاجم اللغوية كتب تؤلف لتضم ألفاظ اللغات، وجمع ألفاظ اللغة وحصرها في كتاب مع الشرح والتفسير والاستشهاد أمر صعب لا يقدر عليه إلا قلة من العلماء، الذين لهم شغف بهذا النوع من الكتب، وعندهم قدرة علمية عالية وكفاءة فنية تمكنهم من القيام بهذا النوع من المؤلفات، حتى يتمكنوا من الوصول إلى المفردات والألفاظ التي يريدون أن يضمها المعجم الذي يؤلفونه. وللعلماء قديما وحديثا طرق متعددة في جمع ألفاظ اللغة، منها:

الرجوع إلى النصوص اللغوية الحية المستخدمة من قبل المتكلمين بهذه اللغة، عن طريق الرواة اللغويين، أو عن طريق الباحث نفسه، أو تلاميذه ومساعديه. وقد كان واضعو المعاجم العربية يعتمدون على الرواة والأعراب الفصحاء في جمع قسم كبير من مفردات معاجمهم، وكان بعضهم يذهب بنفسه إلى البادية؛ لكي يجمع اللغة من أهلها مباشرة، ولكن الطريقة العربية في جمع مفردات المعاجم كانت انتقائية؛لأنها تحصر أخذ الألفاظ في لهجات تراها فصيحة وترفض أخذها من سائر اللهجات التي تراها غير فصيحة، أو تأخذ من اللغة الفصحى، وتهمل الأخذ من غيرها، وهي بهذا تخالف الطريقة المعجمية الحديثة التي تأخذ المفردات من كل المستويات اللغوية: عامية وفصيحة بلا فرق، إن لم تكن تفضل الأخذ من النصوص العامية لواقعيتها وحداثتها.

ومن الطرق الأخرى في تجميع ألفاظ المعاجم: الرجوع إلى مؤلفات العلماء السابقين، أو المعاصرين الذين لهم مصنفات لغوية أو كتب تضم ألفاظ اللغة ومفرداتها، وقد اعتمد واضعو المعاجم العربية على معاجم من سبقوهم ولم يضيفوا إليها في جانب المادة اللغوية إلا القليل من الكلمات أو الشواهد والأمثلة وبعض التفسيرات الإضافية أو التصحيحات. ولما وضع الخليل معجمه لم يجد أمامه معجما للغة العربية فكل ما كان مكتوبا من مفردات اللغة كان على شكل رسائل ومباحث تعنى ببعض الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن والحديث أو تلك التي تتعلق ببعض الموضوعات، ومن بينها: غريب القرآن، واللغات في القرآن لابن عباس (ت٦٨هـ /٦٨٧م)، وكتاب الهمز لعبد الله بن إسحق الحضرمي (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) وكتاب الحشرات لأبي خيرة

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **معجم العين**، ص ٥٥

الأعرابي {أستاذ أبي عمرو بن العلاء ت١٥٤هـ/٧٧٠م}، ولأبي خيرة كتاب آخر في الصفات[١]. ووضع عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ/٧٦٦م) كتابي الجامع والإكمال في النحو قبل كتاب سيبويه تلميذ الخليل. وهناك مؤلفات لشرح معاني القرآن وبيان قضاياه اللغوية والنحوية والصرفية وأول من نقل خبر وضعه مؤلفاً في هذا واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ/٧٤٨م) ، وأبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت١٤١هـ/٧٥٨م) ثم يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ /٧٨٩م) [٢].

وطرق العلماء لأخذ اللغة، هي:

الذهاب إلى البادية للسماع من الأعراب والتلقي عنهم مباشرة، ومجيء الأعراب إلى الأمصار حيث يقيم العلماء ويسمى هذا بالوفادة، والأخذ عن الشيخ بطريقة من الطرق بسماعهم أو القراءة عليهم أو الإجازة منهم أو المكاتبة. وهناك طريقة الوجادة وهي أن يقول الباحث وجدت كذا، وجدته قال كذا الخ[٣]. ويظهر من العين أن الخليل كان يروي عن الأعراب مثل: عرَّام كما في مادة (بضْع) ومادة (خمع) ومادة (خرق) ومادة (عهج) ومادة (عثج) ومادة (عنص) ، وعن زائدة كما في مادة (دهع) ومادة (عهق) و (قعث) ، و عن رافع كما في مادة (ثعلب) ، وعن أبي ليلى كما في مادة (بعص) ، وأحيانا ينسب إلى أعرابي دون أن يسميه كما في مادة (ثقف)، وفي العين ذكر لثلاثة عشر من الأعراب لم يعرف عنهم إلا القليل في كتب الأعراب كما ذكر إبراهيم السامرائي محقق العين بالاشتراك مع مهدي المخزومي[٤]. وتذكر بعض الدراسات أن معجم العين تضمن نقولاً عن عرَّام تزيد عن خمسين مرة، وعن زائدة تزيد عن أربعة وخمسين مرة، وعن الضرير ثلاثا وثلاثين مرة، وهناك نقول عن الحسن البصري (ت١١٠هـ /٧٢٨م) وأبي الدقيش وأبي خيرة وغيرهم[٥].

ويبدو من بعض الروايات أنه كان يعرض على هؤلاء الرواة ما يريد تدوينه، و كان من بين تلاميذه من يساعده في هذا الأمر بعض المرات. وقد أخذ الخليل عن أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ/٧٧٠م)، شيخ العربية وأكثر العلماء معرفة بلغات العرب، وأخذ عن عيسى بن عمر الثقفي (١٤٨هـ/٦٧٧م) ، فهو تلقى العلم في البصرة التي قدم إليها فتى صغيراً من وطنه عمان

(١) آل ياسين، محمد حسين، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري**،ط١، دار مكتبة الحياة،بيروت، ١٩٨٠ م، ص٨٣.

(٢) **المصدر السابق**، ص١٠٣.

(٣) السيوطي، **المزهر ج١**،ص١٤٤.

(٤) السامرائي، إبراهيم، **الإبداع والمحاكاة في حكاية كتاب العين**، ص١٩١.

(٥) **المصدر السابق**،١٧٠.

على أيدي كبار العلماء فيها[١]، وجالس الأعراب في مضاربهم، وأخذ عن أبي مهدية وأبي طفيلة وأبي البيداء، وأبي خيرة، وأبي مالك وأبي الدقيش[٢]. ولاشك أن الخليل ذهب إلى مضارب بعض القبائل ليجمع منها اللغة.

وقد تضمن العين نقولاً عن بعض الصحابة، مثل: علي بن أبي طالب كما في مادة (حوى) وعبد الله ابن مسعود كما في مادة (حضن) وعن عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين، في مادة (رحض) وعن الحسن البصري في مادة (جلو) و (خطف) وعن الحجاج كما في مادة (رتع) وعن أبي الأسود كما في مادة (بظو) وعن أبي عمرو بن العلاء في مادة (حير) وفي (بدء، وبدو).

وإجمالا يمكن القول إن الخليل اعتمد في وضع مادة العين على السماع المباشر من العرب الفصحاء الذين ارتحل إلى مضاربهم في بوادي الحجاز ونجد وتهامة، وسمع من شيوخه وعلماء عصره وأخذ عنهم ما أخذ من لغات العرب وأشعارهم وحكمهم وأمثالهم.

المبحث الأول: الأسس الرئيسة لكتاب العين

الأساس الأول: الترتيب الصوتي

اهتدى الخليل بن أحمد إلى طريقة جديدة في ترتيب حروف العربية لم تعهدها العرب من قبل، معتمداً في هذا على خبرته الشخصية ومواهبه الفريدة في تذوق الأصوات والحروف، فقد عرض حروف الهجاء على أعضاء جهاز النطق لديه، وقاسها حرفا حرفا، فعرف مدارجها ومخارجها وصفاتها، ورأى أنها تبدأ من أقصى الحلق صاعدة إلى أعلى الفم حتى الشفتين، ثم جعل الحروف في مجموعات، بناء على مابين كل مجموعة من تقارب وتشابه.

ذكر الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) في معجمه المحيط في اللغة أن الخليل لما هم بجمع كلام العرب أجال فكره فيما يبني عليه كتابه ويدير عليه أبوابه فنظر في الحروف كلها وذاقها ووجد مخرج الكلام كله من الحلق[٣].

و طريقة الخليل في ترتيب الأصوات، هي: ع ح هـ خ غ /ق ك /ج ش ض /ص س ز / ط د ت/ ظ ذ ث /ر ل ن /ف ب م / و ا ى همزة[٤].

بدأ الخليل الخطوة الأساسية الأولى لتأليف معجم العين بإيجاد هذا الترتيب الذي يقوم على أساس

(١) أحمد، عبد السميع محمد، **المعاجم العربية: دراسة تحليلية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٩.

(٢) أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي(٣٥١هـ/٩٦٢م) **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،ص ٣٩ ــ ٤٠

(٣) الصاحب بن عباد، **المحيط في اللغة**، ص٦٠.

(٤) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٥٤.

مخارج الحروف وهو ترتيب علمي للحروف العربية، يختلف عن طريقة (أ، ب، ت، ث،) التي وضعها نصر بن عاصم على أساس تشابه الحروف في الشكل من غير أساس علمي، وطريقة (أبجد هوز) التي هي في الأصل مأخوذة من لغة غير عربية ليس فيها قسم من الحروف العربية، وكأن الخليل قد أراد بهذا العمل أن يرد الاعتبار للغة العربية وللعرب بإيجاده طريقة جديدة لترتيب الحروف العربية مستمدة من العربية نفسها ومبنية على أساس علمي.

وقد تأثر كثير من واضعي المعاجم العربية القديمة بالخليل وساروا على نهجه في تأليف معاجمهم، فابن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٢م) في الجمهرة أخذ من الخليل نظام التقليبات و تقسيم الكلمات إلى أبنية ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، ولكنه خالفه في اتباع الترتيب العادي الألف بائي عند تقسيم الكتاب إلى أبواب، و عند البحث عن الألفاظ فيه، فقد رأى أن ترتيب نصر بن عاصم أسهل على الناس من ترتيب الخليل. ووضع أبو على القالي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) معجم البارع على نحو قريب من منهج الخليل، ولكنه وضع الأحرف الذلقية (ل ر ن) في الترتيب قبل الأحرف اللثوية (ظ ذ ث) وقدم الراء على اللام. ووضع الأحرف النطعية (ط د ت) قبل الحرف الأسلية (ص س ز) وقدم الزاي على السين. وبدأ ترتيبه بالهاء ثم الحاء ثم العين في المرتبة الثالثة. وقدم الضاد على الجيم والشين، وسار على نحو ما سار عليه الخليل في الأبنية بشكل عام.

ووضع أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ /٩٨٠م) معجمه تهذيب اللغة ولم يخالف الخليل في ترتيب الحروف على أساس المخارج على الرغم مما عرف عنه من تحامل شديد على العين. ووضع ابن سيده الأندلسي (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) معجمه المحكم والمحيط الأعظم، و قد اقتفى أثر الخليل في العين من حيث الأبنية ومن حيث الترتيب القائم على المخارج. فكل هذه المعاجم تأثرت بالعين، ولم تخالفه إلا في أمور غير أساسية : كاختيار ابن دريد الترتيب الهجائي العادي لسهولته وشيوعه، ومخالفة بعض هذه المعاجم ما عليه العين في بعض مسائل تقسيم الأبنية، وبعض الزيادات والاستدراكات.

ويلاحظ هنا أن الخليل وزع الأصوات على مخارجها ونسب كلاً منها إلى حيز معين في جهاز النطق، ولكنه لم يفعل هذا مع الألف والياء والواو والهمزة، فلم يربطها بمخرج من هذه المخارج ولم ينسبها إلى أي منها، وإنما نسبها إلى الهواء. حينما قال: في العربية تسعة وعشرون حرفاً صحاحاً، لها أحياز ومخارج، منها أربعة أحرف جُوفٌ، وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع على مدرجة من مدارج اللسان أو الحلق أو مدرجة اللهاة، إنما هي هوائية[١].

(١) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٤٩.

ومن الواضح أن الخليل قام بوضع هذه الأصوات في حيز واحد ونعتها بالهوائية بعد أن نظر إلى أهم خاصية موجودة فيها وهي حرية مرور الهواء أثناء النطق بها، فلا عائق يقف في طريقها ولا يمنع هواءها شيء، وإذا كان لابد من نعتها فنعتها بالهوائية أمر مُسوَّغ بناء على كيفية مرور الهواء عند النطق بها. وهذا لا يتناقض مع ما قرره المعاصرون من أن الحركات تعتمد على أوضاع اللسان وشكله عند النطق بها، فالحركات تتميز عن الصوامت بناء على أساس كيفية مرور الهواء. ولكن وضع الهمزة مع الألف والياء والواو ونسبتها إلى الهواء ليس صحيحاً إلا عند تسهيلها؛ فالهمزة عند تحقيقها تخرج من الحنجرة ولا تكون حينذاك هوائية(١).

والواضح من ترتيب الخليل للحروف على المخارج كما جاء في العين أن فيه تداخلاً بين الهمزة والألف بسبب ما بينهما من تشابهٍ وقرب، و أنه لا يميز بين الياء التي تكون صوتا صامتاً و الياء التي تكون كسرة طويلة. ومن المؤكد أن سيبويه (ت١٨٠هـ/٧٩٦م) لم يكن ليفوته مثل هذا اللبس والتداخل الذي وقع في العين فيما يتعلق بترتيب الهمزة والألف والياء والواو، فوضع ترتيباً للحروف على أساس المخارج، عندما تناولها في باب الإدغام من الكتاب، و خالف شيخه في بعض الجوانب من ترتيب الحروف العربية على أساس مخارجها، ومن أهم ما خالف فيه شيخه الخليل: أنه جعل الواو بعد الباء والميم في الترتيب، وقال: إن مخرجه من بين الشفتين مع كل من الباء والميم. وقرر أن الياء من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى في حيز الجيم والشين، وبدأ ترتيبه بالهمزة، ثم الألف ثم الهاء وهي من أقصى الحلق(٢). ومخالفة سيبويه للخليل في مثل هذه المسائل لا تعني بالضرورة أن الترتيب الذي جاء في كتاب العين لا يمثل ترتيب الخليل بدقة وأن الذي يمثل ترتيب الخليل هو الترتيب الذي في الكتاب لسيبويه ؛ لأن سيبويه تلميذ الخليل وناقل علمه، ففي هذا القول تجاوز لبعض الحقائق التي لا يختلف فيها الدارسون، وأولها أن سيبويه علم كبير من أعلام الدراسات اللغوية في العربية وأحد أشهر علمائها على الإطلاق، ومن كان في علم سيبويه فلا بد أن يكون له من الآراء والاجتهادات العلمية التي تميزه عن غيره، وفي كتب النحاة أمثلة كثيرة على مخالفة التلاميذ لأشياخهم في مسائل وأبواب ، وما خالف فيه سيبويه شيخه الخليل في النحو له مواضع في الكتاب(٣). ويظهر من هذه المواضع أن سيبويه خالف الخليل في مسائل عدة، وليس في الترتيب الصوتي للحروف العربية فقط.

ومن جهة أخرى فإن الخليل لما بدأ معجمه بالعين لم يكن يغيب عنه أن الهمزة تسبقها في

(١) بشر، كمال محمد، **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٥٧.

(٢) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري (١٤٠هـ/٧٥٦م)،**الكتاب**، ج٤، ص٤٣١ - ٤٣٣.

(٣) انظر: سيبويه، **الكتاب**، ٤٣٧/١، ١٦٢/٢ -١٦٤، ٣٥٧،، ٤٠٠، ٥/٣، ٩٧، ١٢٨ -١٢٩.

المخرج كما قرر هذا حين قال: وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق لكنها مهتوتة مضغوطة إذا رُفَّ عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح[١]. ولهذا لم يبدأ معجمه بحرف الهمزة ؛لأنها صوت معرض للتغيرات مثل الحذف و التسهيل والهاء صوت مهموس خفي فيها هتَّةٌ، و هي تبدل من الهمزة. و قد يعود الفرق بين الخليل وسيبويه في ترتيب الحروف على أساس المخارج إلى أن الخليل كان يريد وضع ترتيب لمعجمه فاختار أن يبدأه بالعين لسبب فني، وسيبويه لم يكن يريد تأليف معجم وإنما نظر إلى العين نظرة صوتية محضة بعيداً عن الاعتبارات الفنية التي كانت عند الخليل حينما وضع حرف العين قبل جميع الحروف وسمى بها معجمه.

إن ما قام به الخليل في وضع العين يمثل جهداً علمياً أصيلاً بكل المقاييس، ولا يضيره أبداً زعم من زعم بأنه أخذ فكرته من الهنود وطبقها على العربية، فما في العين من أصالة علمية كبيرة، وما للخليل من جهود علمية أصيلة مبتكرة في العروض والقوافي و الترقيم والنحو والصرف وضبط الكتابة العربية نطقاً وكتابةً يثبت عبقريته الفذة وذكاءه الخارق في اللغة العربية وعلومها، ثم إن فترة النشاط المعجمي الكبير للهنود كانت في القرن الثاني عشر، أي أنها، جاءت بعد أن ألف العرب معاجمهم وأولها العين للخليل، و لم يكن للهنود نظام مثالي يحتذى في وضع المعاجم؛ لأن المعاجم عندهم وضعت لتحفظ غيبا، وصيغت صياغة شعرية لتسهيل الحفظ،، وما كانت تسمى معاجم، ولم تظهر لهم معاجم بالمعنى العلمي إلا في وقت متأخر، و المعجم العربي منذ نشأته كان يهدف إلى تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى، التي كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة.

وترتيب الخليل مختلف عن ترتيب الهنود بشكل كبير، فالخليل بدأ بالسواكن، والترتيب الهندي بدأ بالعلل، وفي الترتيب الهندي وضعت أصوات الصفير في آخر الحروف السواكن، وما يقابلها من أصوات الصفير في ترتيب الخليل جاءت وسط الترتيب، والياء، والراء، واللام عندهم من أشباه أصوات العلة، وجاءت متتالية على النحو السابق، والياء حرف علة في ترتيب الخليل، ومفصولة عن اللام والراء، فلا تطابق بين الترتيب الخليلي للأصوات وبين ترتيب الهنود لأصوات لغتهم[٢].

ولا دليل على أن الخليل كان يعرف الهندية، أو أنه سافر إلى الهند، أو اتصل بتراثهم، فقد هاجر من عمان إلى البصرة وهو فتى صغير، لا يمكن لمثله أن يكون قد اطلع على طريقة الهنود في ترتيب أصوات لغتهم، هذا لو افترضنا جدلا أن القرب الجغرافي لبلده عمان، يمكن أن يساعد على

(١) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٤٩.

(٢) مختار، أحمد عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ط٨، عالم الكتب القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣٤٣ – ٣٤٥.

هذا.

ومن جهة أخرى لم يثبت أن العرب قد ترجموا علوم الهنود في زمن الخليل، ولم يثبت من مقارنة عمل الخليل بعمل الهنود أنه نقل منهم، أو أن عمله مطابق لعملهم، وإنما هناك تشابه بعيد في الاعتماد على المخارج في ترتيب الأصوات، لا يمكن الاعتماد عليه في إثبات التأثر والتأثير بين الخليل والهنود، وليس هناك احتمال لوجود تأثير هندي على العرب في تأليف المعاجم، فلا يصح أن يعتمد على السبق الزمني في إثبات التأثر، فالعقل البشري واحد في أي بقعة من العالم، وما يهتدي إليه شخص هنا قد يهتدي إليه آخر هناك دون أن يعرف أحدهما عن الآخر شيئا، ولذا يتشابه العملان وقد يتطابقان، ويكون كل منهما أصيلا ومبتكرا(١).

والحق أن الاختراعات والابتكارات، وليدة الحاجة للتطور، الذي لابد منه لاستمرار الحياة وتقدمها، وقد نشأت العلوم العربية في ظل الحاجات الملحة التي فرضتها المتغيرات الكثيرة التي طرأت على حياة الإنسان العربي الذي أصبح صانعا للحضارة وقائدا لركبها بعد أن جاء الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ من أمته، و نزل القرآن بلغته، وكان الخلفاء وقادة الدولة، ورجالاتها من العرب المؤمنين بضرورة بناء الدولة وتطويرها. فلم تنزل العلوم المختلفة، والابتكارات الكثيرة التي ظهرت في الحضارة العربية الإسلامية، بمظلة يونانية ولا سريانية(٢).

الأساس الثاني: - اعتبار الأبنية

إن ما أتى به الخليل في العين يثبت بجلاء عبقريته وذكاءه الشديدين، فقد أيقن بأن جمع ألفاظ لغة لم تجمع من قبله، أمر غير ممكن بالطرق العادية المألوفة، لأن أهل هذه اللغة منتشرون في الأمصار والبلدان، وهم متفرقون في مساحات شاسعة من آسيا وإفريقيا، وبعض أماكن أوربا.

فكان لزاما عليه التفكير بوسيلة تمكنه من جمع اللغة، فكان أول ما لاحظ في هذا أن مواد اللغة العربية محصورة في أربعة أبنية، أو أربعة أصناف، صنف مكون من كلمات تتكون من حرفين أصليين، وصنف مكون من كلمات مكونة من ثلاثة حروف، وصنف مكون من كلمات تتكون من أربعة، وصنف مكون من كلمات مكونة من خمسة حروف، ولا تزيد، وما زاد على ذلك فهو من الحروف الزائدة، ولا يخرج عن الأبنية الأربعة.

قال الخليل في مقدمة العين: كلام العرب مبنيٌّ على الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي، فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه. والثلاثي من الفعال نحو قولك:

(١) مختار، أحمد عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٤٢.

(٢) حمودي، هادي حسن، **الخليل وكتاب العين**، خدمات الإعلان السريع، مسقط، ١٩٩٤م، ص٧٤.

ضرب، خرج، دخل، مبني على ثلاثة أحرف. والرباعي من الأفعال نحو: دحرج، همْلَجَ، قرطسَ، مبني على أربعة أحرف. والرباعي من الأسماء مثل: عبقر، وعقرب، وجندب. والخماسي من الأفعال نحو: اسحَنْكك، و اسحنكل، واقشعرَّ، واسبكرَّ، مبني على خمسة أحرف. ومن الأسماء الخماسية: سفرجل، وهمَرْجل، وشمرْدل، وكنْهَبَل، وقرعَبَل، وعَقَنْقَل، وقَبَعثر. ثم قال: وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال يتكون من أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو في اسم، فاعلم أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة(١). وهذه الأبنية موزعة على الأبواب كما يلي:

العين: من الثنائي٢٠ بابا، ومن الثلاثي ١٨٤ بابا، ومن الرباعي ٢٧٩ كلمة، ومن الخماسي٢٣ كلمة. **الحاء**: فيه من الثنائي ١٥ بابا، ومن الثلاثي ١٤٩بابا، ومن الرباعي ١٥باباً تضم ١١٧ كلمة، ومن الخماسي ٩ كلمات. **والهاء**: فيه من الثنائي بابا ١٨، ومن الثلاثي ١٢٧، ومن الرباعي١٣١ كلمة، ومن الخماسي ٧ كلمات. **الخاء**: فيه من الثنائي ١٦ بابا، ومن الثلاثي ١٢١ بابا، ومن الرباعي ١٣ باباً تضم ٨٠ كلمة، ومن الخماسي٣كلمات. الغين: فيه من الثنائي ١٧ بابا، ومن الثلاثي ٩٦ بابا، ولا رباعي أو خماسي. **القاف**: فيه من الثنائي ١٧ بابا، ومن الثلاثي ١٠١ باب، ومن الرباعي ١٣، تضم١٠١ كلمة، ومن الخماسي ٩ كلمات. **الكاف**: فيه من الثنائي ١٧ بابا، ومن الثلاثي ٨٥ بابا، ومن الرباعي ١٠ أبواب تضم ٣٨ كلمة، ومن الخماسي كلمة واحدة.

الجيم : فيه من الثنائي ١٣ بابا، ومن الثلاثي ٧٤ بابا، ومن الرباعي ٤٤ كلمة، ومن الخماسي ٣ كلمات. **الشين**: فيه من الثنائي١٦ بابا، ومن الثلاثي ٦٣ بابا، ومن الرباعي ٥٩ كلمة، ومن الخماسي٣ كلمات. **الضاد**: وفيه من الثنائي ٨ أبواب، ومن الثلاثي ٣١ بابا، ومن الرباعي١٢ كلمة، ولا خماسي. **الصاد**: وفيه من الثنائي ٨ أبواب، ومن الثلاثي ٣١ بابا، ومن الرباعي ١٢ كلمة. **السين**: وفيه من الثنائي ٩أبواب، ومن الثلاثي ٤ أبواب، ومن الرباعي ٤٣ كلمة، ومن الخماسي ٣ كلمات. **الزاي**: فيه ٧ أبواب من الثنائي، و٢٦ بابا من الثلاثي، وبابان من الرباعي يضمان ٧ كلمات، و٣ كلمات من الخماسي. **الطاء**: فيه من الثنائي ٧ أبواب، ومن الثلاثي ٣٠ بابا، ومن الرباعي١١ كلمة، ولا خماسي. **الدال**: وفيه من الثنائي ٧ أبواب، ومن الثلاثي٢٧ بابا، ومن الرباعي ٤ كلمات. **التاء**: وفيه من الثنائي ٦ أبواب، ومن الثلاثي ٢٣ بابا، ومن الرباعي كلمة واحدة، و لا خماسي. **الظاء**: وفيه من الثنائي ٦ أبواب، ومن الثلاثي ١٤ بابا، ولا رباعي أو خماسي. **الذال**: وفيه من الثنائي ٦أبواب، ومن الثلاثي ١٨بابا، ومن الرباعي كلمتان، ولا خماسي.

(١) مختار، أحمد عمر، **منهج البحث العلمي عند العرب**، ص١٨٥. الخليل بن أحمد، **معجم العين**، ٤٢ــ ٤٤.

الثاء: وفيه من الثنائي ٦ أبواب، ومن الثلاثي ١٧ بابا، ومن الرباعي كلمتان، ولا خماسي. **الراء**: وفيه من الثنائي ٤ أبواب، ومن الثلاثي ٢٤ بابا، و لا رباعي أو خماسي. **اللام**: وفيه من الثنائي ٣ أبواب، ومن الثلاثي ١٠أبواب، ولا رباعي أو خماسي. **النون**: وفيه من الثنائي ٣ أبواب، ومن الثلاثي٥ أبواب، ولا رباعي أو خماسي. **الفاء**: ٣ كلمات من اللفيف. **الباء** : وفيه باب واحد من اللفيف يضم ١٢ كلمة. **الميم**: وفيه باب واحد من اللفيف يضم ١٥ كلمة. **باب الحروف المعتلة** : وفيه باب واحد يضم ١٢ كلمة، وهو آخر باب في معجم العين. فالعين كتاب صرفي من جهة تركيزه على أبنية الألفاظ وتقسيمها في المعجم على أساس الأبنية.

الأساس الثالث: نظام التقليبات

أدرك الخليل بعقله الكبير أن تغيير ترتيب حروف هذه الأبنية الأربعة وتقليبها يعطينا الأوجه المحتملة لكل بناء بشكل دقيق، فالبناء الثنائي إذا قمت بتغيير ترتيب حرفيه مكان بعضهما، تحصل منه على كلمتين، فكلمة قد، تعطيك دق، وعد تعطيك دع، والبناء الثلاثي يعطيك ست كلمات إذا غيرت ترتيب حروفه الأصلية، فالمادة: ع ب د تعطينا : عبد، وعدب، ودعب، ودبع، وبعد، وبدع. والبناء الرباعي إذا غيرت ترتيب حروفه الأصلية يعطي أربعة وعشرين وجهاً، والبناء الخماسي يعطي مئة وعشرين وجهاً إذا غير ترتيب حروفه. و بهذه الطريقة التي ابتكرها الخليل بن أحمد استطاع حصر ألفاظ اللغة حصرا يشهد له بالعبقرية والذكاء الخارق.

وقد قام ابن دريد في الجمهرة بتوضيح نظام التقليبات قائلاً: إذا أردت أن تستقصي من كلام العرب ما كان على حرفين مما تكلموا به أو رغبوا عنه مما يأتلف أو لا يأتلف فانظر إلى الحروف المعجمة، وهي ثمانية وعشرون حرفاً، فاضرب بعضها في بعض تبلغ سبعمائة وأربعة وثمانين حرفاً، فإذا أزوجتهن حرفين حرفين صرن ثلاثمائة واثنتين وتسعين بناء، فإذا قلبت البناء الثنائي عاد إلى سبعمائة وأربعة وثمانين بناء، منها ثمانية وعشرون بناء مشتبهة الحرفين مثل هه، قلبه وغير قلبه لفظ واحد، ومنها ستمائة بناء صحيحة ليس فيها واو ولا ياء ولا همزة، يجمعها ثلاثمائة قبل القلب، ومنها مائة وخمسون بناء ثنائية ممزوجة بهذه الأحرف الثلاثة المعتلة الياء والواو والهمزة ويجمعها خمسة وسبعون بناء ثنائياً قبل القلب، ومنها ستة أبنية معتلة يجمعها ثلاثة أبنية قبل القلب، ومنها ثلاثة أبنية مضاعفة، وخمسة وعشرون بناء ثلاثياً صحاحاً مضاعفة، هذا عدة الثنائي المهمل والمستعمل.

وإذا أردت أن تؤلف الثلاثي فاضرب ثلاثة أحرف معتلات في التسعة الثنائية المعتلة فتصير سبعة وعشرين بناء ثلاثياً معتلاً. ثم تضرب الثلاثة المعتلات في مائة وخمسين بناءً، حرف منها صحيح وحرف منها معتل، فتصير أربعمائة وخمسين بناء ثلاثياً، حرفان منها معتلان وحرف

صحيح، ثم تضرب الثلاثة المعتلات في ستمائة بناء ثنائي صحيح الحرفين فتصير ألفا وثمانمائة بناء ثلاثي، حرفان منها صحيحان وحرف معتل، وتضرب خمسة وعشرين حرفاً صحيحاً في ستمائة بناء ثنائي صحيح الحروف فتصير خمسة عشر ألفاً وستمائة وخمسة وعشرين بناء ثلاثياً؛ فهذا ما يخرج من البناء الثلاثي. فإذا أردت أن تؤلف الرباعي فتضرب الثلاثة المعتلات في السبعة والعشرين بناء ثلاثياً، ثم تضرب في أربعمائة وخمسين، ثم في الألف والثمانمائة، ثم تضرب الخمسة والعشرين الصحاح في الخمسة عشر ألف بناء ثلاثي صحاح الحروف؛فما بلغ فهو عدد البنية الرباعية، وكذلك سبيل الخماسي الصحيح[1]. وتظهر العمليات الحسابية السابقة أن أبنية الثنائي تم إحصاؤها عن طريق ضرب الحروف ٢٨×٢٨=٧٨٤، لكن ينبغي إخراج الأحرف المتشابهة مثل الهاء مع الهاء فينقص منها ٢٨ حرفاً فتصبح ٧٥٦. وبعملية حسابية بسيطة فإن عدد الأبنية الثنائية تكون بضرب ٢٨×٢٧ =٧٥٦ بناء ثنائياً، والثلاثية٢٨ × ٢٧ × ٢٦ =١٩٦٥٦ بناء ثلاثياً. والرباعية ٢٨× ٢٧×٢٦ × ٢٥=٤٩١٤٠٠ بناء رباعياً. والخماسية ٢٨ × ٢٧×٢٦ × ٢٥×٢٤=١١٧٩٣٦٠٠ بناء خماسياً. ومجموع الأبنية كلها ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية مهملة ومستعملة من غير تكرار = ١٢٠٠٥٤١٢ بناء.

فقد أوحى للخليل ذهنه العبقري ونظره الحاذق وحسه الموسيقي وولعه بالرياضيات حصر ألفاظ اللغة العربية عبر هذه الطريقة الرياضية بحيث لا يشذ عنه منها لفظ، وقد اهتدى الخليل إلى طريقة يحصر بها أوزان الشعر العربي، وطريقة يحصر بها اللحون والأنغام[2]. إن الأفكار الأساسية التي قام عليها كتاب العين هي أفكار رياضية محضة فهو يقوم على فكرة استفراغ جميع التراكيب التي تشكلها الحروف الصامتة في اللغة العربية غير المزيدة: ثنائية، أو ثلاثية، أو رباعية أو خماسية. وهذا يسمى بقسمة التراكيب في الرياضيات الحديثة combinatoire.

وبهذا الصدد أكد الخليل أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين، والثلاثية على ستة أوجه، والرباعية على أربعة وعشرين وجها،، وذلك أن حروفها وهي أربعة تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة فتصير أربعة وعشرين وجها، يسجل منها المستعمل والمهمل يترك. والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها ؛وذلك أن حروفها وهي خمسة تضرب في وجوه الرباعي الصحيح وهي أربعة وعشرون وجها فتصير مائة وعشرين وجها، أكثرها يترك والقليل النادر منها يثبت. فالخليل بهذا العمل الرياضي اللغوي الفريد يعد ممن أقام أسس الجبر التركيبي بوضعه مفهوم ما يسمى العاملي، ورسم دائرة تمثل جميع احتمالات التركيب الثلاثي طرداً وعكساً،

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد بن حسن(٣٢١هـ/٩٣٢م)، **جمهرة اللغة**، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٥١٣.

(٢) آل ياسين، محمد حسين، **الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث**، ص٩٠.

وهذا يسمى حالياً بالزمرة الدائرية cyclic group [١].

وتظهر أهمية ما قام به الخليل في أنه كان يعلم أن حصر الأبنية في اللغة العربية، وحصر الصيغ النظرية المحتملة لهذه الأبنية، ما كان كافيا لتحقيق الهدف الذي يريده من تأليف كتاب العين، فما كان يخفى عليه أن قسما كبيرا من هذه الصيغ والكلمات التي توصل إليها من خلال طريقة التقليبات لم يكن مستعملا أو معروفا عند العرب، فوجد أن طريقة التقليبات التي اكتشفها تأتي بألفاظ كثيرة غير معروفة لم يستخدمها العرب، ولذلك كان عليه البحث عن حل لهذه المشكلة، فلم يجد أمامه إلا أحد طريقين، الأول: الذهاب إلى جميع أهل اللغة المنتشرين في مساحات واسعة من الأرض، ليسمع منهم ما يستخدمون من ألفاظ لكي يثبتها، وهذا أمر لا يستطيع فرد تحقيقه، بل هو أمر غير قابل للتحقيق على أرض الواقع. الأمر الآخر: الاكتفاء بمعرفته الشخصية، و الاعتماد على قدراته الذاتية، مع أنه ليس لفرد أن يحيط بكل ما في اللغة من ألفاظ، مهما كان متضلعاً من العربية، وعارفا بأشعار العرب وكلامها؛ ولذلك كان القدماء يرون أنه لا يحيط باللغة إلا نبي، وقد امتعض ابن فارس امتعاضا شديدا من عبارة وردت في آخر كتاب العين تقول: هذا آخر كلام العرب؛ لأنه يعتقد أن الإحاطة باللغة من خصوصية الأنبياء وحدهم، وعليه، لا يمكن أن يصدر قول كهذا من الخليل؛ فهو أورع وأتقى لله من أن يقول ذلك[٢]. ولعل ابن فارس لم يدرك أن الخليل ما كان يزعم أنه أو أن أحدًا غيره، كان يحيط باللغة العربية إحاطة شاملة، بحيث لا يفوته منها لفظ، أو شاهد، أو معنى، كلا، فليس هذا مما يمكن أن يعتقده الخليل أو يفكر به، وإنما قصده أن طريقته المبتكرة في التقليبات تقود إلى حصر ألفاظ اللغة، فهو لا يدعي معرفة جميع ألفاظ العربية، ولو كان كذلك ما سافر إلى البوادي ومضارب القبائل التي يعترف لها بالفصاحة، ولكنه كان يعتقد محقا أن منهجه في حصر ألفاظ اللغة العربية في أربعة أبنية وتقليب حروف كل بناء منها يؤدي إلى إحصاء رائع لهذه الألفاظ بطريقة فذة عجيبة لا يعرف لها نظير في غير منهجه الذي طبقه في العين.

ووضع الخليل بعض القواعد الصوتية للتمييز بين المهمل والمستعمل من ألفاظ اللغة العربية، فقد قرر في باب الثنائي المضاعف من العين أن العين والحاء لا تجتمعان في كلمة عربية واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعلٌ من جمعٍ بين كلمتين مثل **حيَّ على** التي تصبح في الكلام **حيعلا**،

(١) التواتي بن التواتي، الخليل بن أحمد منظراً لغوياً وعنايته بالقراءات وتوجيهها النحوي، **مجلة المجمع الجزائري للغة العربية**، العدد الثاني، السنة الأولى، ذو القعدة ١٤٢٦هـ/ديسمبر ٢٠٠٥، ص١٥٣.

(٢) ابن فارس،(ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) **الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامه**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص٢٤.

فهي أصلا مأخوذة من حيَّ على الفلاح[١]. والضاد مع الصاد لم تدخلا معاً في كلمة واحدة أصلية الحروف إلا في كلمة وضعت مثالاً لبعض حساب الجُمَّل[٢]. ومما قال في هذا إذا وردت عليك الكلمة رباعية أو خماسية معرَّاة من حروف الذلَق أو الحروف الشفوية فهي كلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً خلل في النصّ كلمة رباعية أو خماسية إلا وفيها من الحروف الذلقية والشفوية حرفٌ أو اثنان أو أكثر[٣].

فقد استعان الخليل بهذه القواعد في التمييز بين الألفاظ التي تنتج عن نظام التقليب. وكذلك اعتمد الخليل على معرفته بكلام العرب وأشعارهم، واعتمد على السفر إلـــى مضارب بعض القبائل ليعرف منهم ما لم يكن يعرف. وبهذا يكون قد اتبع أفضل أسلوب ممكن يقوم به شخص للحكم على المستعمل والمهمل من ألفاظ اللغة العربية، وما قام به الخليل في هذا، هو الأقرب إلى الصواب، وهو جمعه بين الطريقتين: طريقة الاتصال بأهل اللغة العربية مباشرة، وطريقة الاعتماد على علمه الغزير بالعربية ومعرفته بآدابها وألفاظها.

المبحث الثاني: منهجه في ترتيب الألفاظ

أولاً: الترتيب الخارجي لمعجم العين

من المتعارف عليه في عمل المعاجم أن هناك نوعين من الترتيب لابد من مراعاتهما في ترتيب ألفاظ كل معجم، النوع الأول يعرف بالترتيب الخارجي، والنوع الآخر يعرف بالترتيب الداخلي، وفيما يتعلق بالنوع الأول وهو الترتيب الخارجي، فإنه يتعلق بترتيب ألفاظ المعجم كلها، وفقا لطريقة يختارها المؤلف، فقد يعتمد على الحرف الأخير من الكلمة، وقد يعتمد على الحرف الأول، وربما اتبع طريقة أخرى، وكان أمام الخليل ترتيب نصر ابن عاصم المعروف بالترتيب الألف بائي {أ ب ت ث ت ج ح خ إلخ} وترتيب (أبجد هوز) وهو ترتيب سامي فينيقي قديم استخدمه العرب بعد أن أضافوا إليه ما ليس فيه من حروفهم. ولكن الخليل لم يقبل الأخذ بأي منهما؛ لأنه رأى أنه لا يمكن أن يبتدئ التأليف من أول ألف {باء، تاء، ثاء، ... }، فالألف حرف معتل فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء، فنظر وتدبر الحروف فوجد أن أولاها بالابتداء أدخل حرف منها إلى الحلق كونه يتعامل مع الحروف على أنها أصوات تخرج من جهاز النطق، فعمد إلى ترتيبها على أساس مخارجها. ومما حمله على هذا الترتيب المخرجي

(١) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٥٦ .

(٢) **المصدر السابق**، ص٥٨ .

(٣) **المصدر السابق**، ص٤٧.

للحروف أنه كان مولعا بتمييز الأصوات وتذوقها، وقد شعر بأنه جديرٌ بأن يأتي بترتيب مثل ترتيب نصر بن عاصم، وأفضل منه، فأعمل فكره واستغل عبقريته التي أبت عليه أن يكون تابعا مقلداً، فاهتدى إلى ترتيب الحروف العربية على أساس مخارجها[١]. وإذا قارن المرء بين طريقة نصر بن عاصم في ترتيب الحروف وطريقة الخليل بن أحمد يجد أن اتباع الخليل طريقة المخارج تقوم على أساس علمي منهجي مدروس، في حين أن طريقة نصر تقوم على أساس التشابه في الشكل الكتابي للحروف فما كان من الحروف مؤتلفا في الشكل والرمز وضعت إلى جنب بعضها، والحروف المنفردة في الرسم كالهاء والواو وضعت متأخرة. ولا أساس علمي أو منطقي لذلك.. ولذلك كان على الخليل أن يتبع طريقة لترتيب ألفاظ معجمه الترتيب الخارجي، والمشكلة أنه كان يواجه هذا الأمر، وليس أمامه خيارات كثيرة، أو نماذج لأعمال سابقة يمكنه أن يقتدي بها ويسترشد، أو يستفيد منها، ولو بالحد الأدنى من الفائدة على الأقل، فالرجل كان يقوم بعمل غير مسبوق، وعليه أن يبتدع طريقة من عنده ليرتب ألفاظ معجمه ترتيبا خارجيا على أساسها. وقد اهتدى الخليل إلى طريقة الترتيب الصوتي ؛ بمعنى أنه نظر إلى الكلمات بناء على أسبق حروفها مخرجا؛ وفقا للترتيب الصوتي الذي ابتكره، ثم رتبها على أساس أسبق حرف في كل منها، وليس على أساس أول حرف أو آخر حرف فيها. وقسم العين إلى أبواب بعدد حروف الهجاء الصحاح وهي عنده خمسة وعشرون حرفا، و أضاف إليها بابا خاصا بأحرف العلة، سماه باب اللفيف، وأول أبواب معجم العين للخليل، هو باب العين، ويضم باب العين الكلمات المستعملة التي تتألف من العين مع ما يليها، ويليه باب الحاء ويضم الكلمات المستعملة التي تتألف من الحاء مع ما يليها، ويليه باب الهاء ويضم الكلمات التي تتألف من الهاء مع ما يليها، ويليه باب الخاء، ويضم الكلمات التي تتكون من الخاء مع ما يليها، ثم باب الغين، ويضم الكلمات التي تتكون من الغين و ما يليها، وبباب الغين تنتهي مجموعة الحروف الحلقية، وهي تعادل نصف الكتاب من حيث الحجم، ثم انتقل إلى أصوات اللهاة وفيها حرفا القاف والكاف، وباب القاف يضم الكلمات التي تتكون من القاف مع ما يليها، وكذلك باب الكاف، ويستمر هكذا من باب إلى آخر حتى ينتهي إلى مدرجة الشفتين، وعنده فيها ثلاثة أحرف صحاح، هي الفاء و الباء، والميم، وأبواب هذه الحروف صغيرة جدا، لكونها تتضمن الكلمات التي تتألف منها مع ما يليها، و ما يليها قليل، فلا يلي الفاء إلا الباء، والميم، ولا يلي الباء إلا الميم، و لا يلي الميم حرف صامت، ولذا لم يبق منها إلا الكلمات التي تتألف منها مع أحرف العلة[٢]. حيث إنه كان يبدأ بكلمة من الثنائي فيترجم لها، ثم يقوم بتقليبها، ويترجم لمقلوبها، وهكذا

(١) الخطيب، عدنان، **المعجم العربي بين الماضي والحاضر**، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، بيروت ١٩٩٤، ص٢٩.

(٢) االفراهيدي، **معجم العين**، ص١٩ – ٢١.

يستمر في تناول الكلمات المكونة من البناء الثنائي، إلى أن ينتهي منها، ثم ينتقل إلى باب الثلاثي الصحيح، وهكذا يستمر إلى أن تنتهي الكلمات المبدوءة بالحرف الذي عقد عليه الباب مع ما يليها من الحروف، ثم ينتقل إلى الباب التالي إلى أن ينتهي من كلمات الباب، ولا يترجم إلا للكلمات المستعملة[1]. ودرج على هذا النحو في الترتيب الخارجي لألفاظ معجمه، وقد بقيت هذه الطريقة سائدة في صناعة المعاجم العربية لقرون، و سار عليها واضعو معاجم كبيرة ومشهورة جاءوا بعد الخليل.

ثانياً- ترتيب الألفاظ في كل حرف على أساس الأبنية

لم يكتف الخليل في العين بتقسيم كتابه إلى ستة وعشرين باباً أو قسما وفقاً لترتيب الحروف على أساس المخارج الذي وضعه مبتدئاً بحرف العين فالحاء فالهاء.. ومنتهياً بالميم، ثم حروف العلة التي جعلها معاً في آخر قسم من المعجم، وإنما جعل كلمات كل باب أو قسم من كتابه في أقسام ومجموعات على أساس حروفها الأصلية، فألفاظ حرف العين مقسمة إلى ستة أبواب هي باب الثنائي من العين، ثم باب الثلاثي من العين، ويضم الثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل واللفيف، ثم باب الرباعي من العين، ثم باب الخماسي من العين، وألفاظ حرف السين مقسمة إلى ستة أبواب هي باب الثنائي من السين، وباب الثلاثي من السين بأنواعه الثلاثة، ثم باب الرباعي من السين، ثم باب الخماسي من السين. ولكن مع هذا، ينبغي الإشارة إلى أن هذا التقسيم لم يكن ممكنا تطبيقه في كل أبواب الحروف الستة والعشرين، فبعضها ليس فيه كلمات ثنائية مثل باب الفاء والميم والباء على سبيل المثال، وبعضها ليس فيه أبنية رباعية أو خماسية مثل باب الغين والظاء، واللام، و والنون، وبعضها ليس فيه ألفاظ خماسية مثل: باب الضاد، وباب الصاد، وباب الطاء، وباب الدال، وباب التاء، وباب الثاء، والذال. والأبواب التي وجدت فيها كل الأبنية هي: أبواب العين، والحاء، والهاء، والخاء، والقاف، والكاف، والجيم، والشين، والزاي.

وكان الخليل في كل بناء من هذه الأبنية يرتبها على أبواب داخل كل بناء منها وفقاً لترتيب الحروف الذي وضعه، فالثنائي من الحاء مقسم إلى١٥بابا، أولها باب الحاء مع الكاف ثم باب الحاء مع الجيم حتى باب الحاء مع الميم، في كل باب من هذه الأبواب من الثنائي يقوم بتقليب كلمات كل باب على وجهين، فباب الحاء مع الكاف إذا قلب يعطي حك وكح، وباب الحاء مع الجيم يعطي حج وجح. وهكذا يفعل في كل بناء ثنائي حتى ينتهي منها. وفي الأبنية الثلاثية يقوم بالطريقة نفسها، فبناء الثلاثي من الحاء يضم ١٤٩ بابا، تبدأ بالثلاثي الصحيح الذي أول باب فيه هو باب الحاء

(١) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٢١.

والقاف والشين، وآخر باب فيه هو باب الحاء والفاء والميم، ثم أبواب الثلاثي المعتل وبدأه بباب الحاء والقاف وأحد حروف العلة والهمزة معهما، وختمه بباب الحاء والميم وأحد حروف العلة معهما، ثم باب اللفيف من الحاء وبه خمسة أبواب هي باب حيي، وباب حوو، وباب حوى، وباب وحي. وكل باب من أبواب الثلاثي من الحاء يعطي ستة كلمات عند التقليب. فباب الحاء والقاف والشين يعطي: حقش، وحشق، وشقح، وشحق، وقحش، وقشح. وفي الثلاثي المعتل من كل باب تزيد المقلوبات عن ستة بسبب وجود حروف العلة والهمزة، وفي الرباعي من القاف ١٢ بابا، أولها باب **القاف والجيم**، ويضم كلمات، مثل : جنبق، وقنفج، وجرمق، ومجنق، وجلبق، وجوسق، و جلهق، ثم **القاف والشين**، ويضم: شدقم، ودمشق، و برقش، وشبرق، و قشبر، و قرشم، و شقرق، و ششقل، و قنفش. ثم باب **القاف والضاد**، و يضم : قرضب، وقنبض. ثم باب **القاف و الصاد**، ويضم صندق، وقنصر، وقرمص، و قرفص، صلقم، وقصمل ، و قنصف. ثم باب **القاف والسين**، ويضم ٢٢ بناء. ثم **القاف والزاي**، ثم باب **القاف والطاء**، ثم باب **القاف والدال**، ثم باب **القاف الذال**، ثم باب **القاف والثاء**، ثم باب **القاف و الراء**، ثم باب **القاف واللام**، وهو آخر باب من رباعي القاف.

وهنا نلحظ أن الخليل في الرباعي لم يأت بمقلوبات الكلمة الرباعية أو مهملاتها، كما كان يفعل في الكلمات الثنائية والثلاثية، وإنما اكتفى بإيراد الكلمة الرباعية المستعملة دون تقليب كما رأينا في الرباعي من القاف من خلال الأمثلة السابقة، ثم رتب الكلمات الرباعية ترتيباً صوتياً في مجموعات على أساس الحرفين الذين يتكرر وجودهما في كل كلمة رباعية، فالرباعي من القاف يضم اثني عشر باباً أولها باب القاف والجيم، فباب القاف والشين ، فباب القاف والضاد، فباب القاف والصاد، فباب القاف والسين، فباب القاف والزاي، فباب القاف والطاء، فباب القاف والدال، فباب القاف والذال، فباب القاف والثاء، فباب القاف والراء، فباب القاف واللام، والباب الواحد من هذه الأبواب يضم الكلمات الرباعية من القاف، فباب القاف والجيم يضم كل كلمة رباعية فيها جيم وقاف، وباب القاف والشين يضم كل كلمة رباعية فيها قاف وشين، فالخليل لم يطبق نظام التقليبات في الأبنية الرباعية وإنما كان يثبت في باب الرباعي الكلمات الرباعية المستعملة، ثم ينظر إلى الحرفين اللذين بتكرر وجودهما في كل بناء رباعي منها، ويجمعها في باب ويسمي الباب على هذين الحرفين على نحو ما تم توضيحه في الرباعي من القاف. وفعل الشيء نفسه في بناء الخماسي من الجيم، فقد أورد في هذا البناء ثلاث كلمات هي: جرنفش، وسفرجل، وزبرجد. وجعلها ضمن باب واحد هو باب الخماسي من الجيم. وما فعله في الرباعي من الجيم والخماسي من الجيم فعله في كل رباعي وخماسي من معجم العين.

ثالثاً-الترتيب الداخلي للعين

يقصد بالترتيب الداخلي هنا ترتيب الصيغ المختلفة للكلمة ومشتقاتها، بمعنى أن يبدأ المؤلف بالأفعال و تصريفاتها قبل الأسماء، أو بالمجرد قبل المزيد، أو باسم الفاعل قبل اسم المفعول، أو بالفعل الماضي قبل المضارع والأمر، ونحو ذلك من الطرائق والأساليب التي يتبعها المؤلف في ترتيب ألفاظ المداخل ليسهل على الباحث الوصول إلى أي لفظ يريد من هذه المادة من خلال تتبعه منهجاً محدداً موحداً يسير عليه المعجم في ترتيب الصيغ والكلمات. ولكن الخليل لم يفعل ذلك ولم يسر على طريقة واحدة في ترتيب كلمات المادة التي يشرحها. فقد يبدأ المدخل بفعل، و قد يبدأ باسم، وليس له منهج واحد وطريقة ثابتة في عرض كلمات كل مدخل. ففي مادة (بأر) بدأ بفعل، حيث قال: بأرت الشيء وابتأرته وائتبرته، لغات، أي: خبأته. وكذلك فعل في مادة (طلق) بدأ بفعل ماض مبني للمجهول، وهو طُلِقت المرأة، فهي مَطْلوقة: إذا ضربها الطلق عند الولادة. والطلاق : تخلية سبيلها. وطَلَقتْ وطُلِقت تطليقاَ. والطالق من الإبل: ناقة ترسل حيث شاءت. وأطلقت الناقة وطَلَقَت هي، أي: حللت عقالها فأرسلتها. ورجل مِطلاق ومِطْليق : كثير الطلاق للنساء. والطليق: الأسير. وتطلق الظبي: إذا خلى عن قوائمه فمضى لا يلوي على شيء. والانطلاق سرعة الذهاب في المحنة. و فلان طلق الوجه: وطليقُهُ وقد طُلُق طلاقةً. ويوم طَلْق، وليلة طلقة: نقيض النحس والنحسة. واستطلق البطن وأطلقه الدواء فأسهل. ورجل طليق اللسان وطلْق اللسان: ذو طلاقة وذلاقة. ورجل طلق اليدين: سمح بالعطاء. وما تطَّلق نفسي لهذا الشيء، أي: ما تنشرح وما تستمر. والطَّلَقُ الشوط في جري الخيل، و يستعمل في أشياء. و تطلَّقتْ الخيل: إذا مضت طلَقا لم تحتبس إلى الغابة. والطلَق: الحبل القصير. وفي مادة (بأس) بدأ بالاسم فقال: البأس: الحرب، و رجل بئس، قد بؤس بآسة، أي: شجاع. والبأساء: اسم للحرب، والمشقة، والضرر. و البائس: الرجل النازل به بلية.

ولو رتبنا صيغ مادة (طلق) وكيف عرضها فهي كما يلي: طُلِّقت، فعل ماض مبني للمجهول، ثم مطلوقة، اسم فاعل، ثم الطلاق مصدر، ثم عاد للفعل الماضي المبني للمجهول وقدم له صيغتين وجاء بالمفعول المطلق منه، ثم جاء باسم الفاعل: الطالق، ثم جاء بالفعل الماضي المبني للمعلوم منها وهو أطلقتُ، ثم جاء بالماضي طلقت هي، وعاد للمشتقات وجاء بمطلاق ومطليق، وجاء بالاسم وهو الطليق، ثم رجع للماضي وهو تطلقت الظبي، ثم عاد وجاء بالمصدر وهو الانطلاق، وعاد إلى المشتقات فجاء بطلق الوجه للمذكر وطليقة للمؤنث، ورجع إلى الماضي فجاء بصيغة استطلق وأطلق، ثم عاد للمشتقات فجاء بطليق وطلق، ثم جاء بالمصدر طلاقة، وعاد للماضي من طلاقة وهو تطْلُق، ثم عاد فجاء بالاسم وهو الطلق، وبعد ذلك عاد فجاء بفعل ماض هو

تطلَّقت، وآخر صيغة من صيغ المادة هي الطلق. وبهذا يتضح أنه لا يسير على نظام واحد أو منهج متبع في عرض المواد في معجم العين. ومن أراد الحصول على معنى صيغة فسيجد نفسه مضطراً لقراءة كل صيغ المادة حتى يصل إلى ما يريد.

المبحث الثالث: منهجه في عرض المواد اللغوية

١ - طرق الشرح

الهدف الأساسي الذي يريده مستخدم المعجم وواضعه هو الوصول إلى معنى اللفظ، ولذلك تلجأ المعاجم إلى استخدام كل ما يحقق هذا الهدف، ومن شروط تحقيق هذا الهدف أن يكون الشرح مختصرا وموجزا وسهلا وواضحا، فلا يفسر اللفظ بلفظ غامض، ولا يعرف بشيء غير معروف، ولا يحال إلى مجهول. وللمعاجم طرق شرح مختلفة، الغاية منها خدمة القارئ، كالشرح بالتعريف، أو بتحديد العناصر التكوينية للكلمة، أو كالشرح بذكر السياقات للكلمة، أو الشرح بذكر المرادف، أو المضاد[١].

وقد اعتمد الخليل طريقة الشرح بالتعريف في العين، ولكنه يلجأ بعض المرات إلى التعريف بالمرادف كما فعل في مادة (رهو) على سبيل المثال، حيث قال: الرهو: الكركي، ويقال: بل هو من طير الماء، شبيه به. ومثل ذلك ما جاء في مادة (حرمد) ، التي قال فيها: الحرمد: الحمأة. وفي مادة (حبل) قال: الحبل : الرسن. وفي مادة (روح) قال: الروح: النفس التي يحيا بها البدن. يقال: خرجت روحه، أي: نفسه.

وقد يلجأ إلى الشرح بذكر المضاد في مرات غير قليلة، ومنها على سبيل المثال: ماجاء في مادة (حر) عند تفسير كلمة الحر، فقال: الحر: نقيض العبد، ولم يزد على هذا. ومثل ذلك ما جاء في مادة (حرب) ، الحرب: نقيض السلم، وتصغيرها حريب. وجاء في مادة (حفظ) الحفظ: نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة. وكذلك فعل في مادة (حق) حيث قال: الحق: نقيض الباطل. وفي مادة (ترح) الترح: ضد الفرح.

أما الشرح بذكر السياق على نحو ما يرد في المعاجم الحديثة، فلا يمكن القول: بأن الخليل كان يشرح بذكر السياقات لأن معجمه لم يكن معجما من هذا النوع، وإنما هو معجم معاني، ومع هذا يمكن القول: إن الشواهد التي وردت في العين هي نوع من الاستعانة بالسياق في تحديد المعنى، ذلك بأن الشاهد يحمل الكلمة المراد شرحها في سياق ذلك الشاهد. ففي مادة (جني) ، استشهد بقول الشاعر:

(١) مختار، أحمد عمر، **صناعة المعاجم الحديثة**، عالم الكتب، القاهرة، **١٩٩٨م**، ص١٢٠.

جانيك من يجني عليك وقد تُعدي الصحاحَ فتجرب الجربُ

فجانيك هنا، بمعنى من جر عليك جريرة، وهي من الفعل جنى. وفي المادة نفسها استشهد بقول الراجز: إنك لا تجني من الشوك العنب. ويقول آخر:

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وفي مادة (ترب) ، الترب والتريب : اللدة، وهما تربان. وقوله عز وجل: ﴿عربا أترابا﴾[1] أي نشاطا أمثالا.

وهذا ما يجعلنا ننظر إلى الشاهد على أنه نوع من الاستعانة بالسياق في تحديد المعنى، على الرغم من أننا ندرك الفرق بين هذا الأسلوب وبين المعاجم السياقية الحديثة.

طرق الشرح المساعدة هي: [2]

أ-استخدام الأمثلة التوضيحية الحية، وهي لا تختلف كثيرا عن الشرح بذكر السياقات، لكنها مستقلة عنها، لأنها تكون مأخوذة من نصوص حية، وقد تكون موجهة من واضع المعجم لخدمة قضايا لغوية فيه، وتتميز بأن المؤلف يقدر على حذفها واختصارها كما يشاء، وهي قد تكون استشهادات على صحة المعنى، والتفسير الذي أورده المعجم.

وهنا يمكننا القول بأن الخليل كان أحيانا يعتمد على ما كان يسمع من أفواه العرب الفصحاء الذين نزحوا إلى البصرة، أو ممن ذهب هو بنفسه إليهم في مضاربهم.

ب-التعريف الاشتمالي، وهو تعريف الشيء بذكر أفراده، مثل المركبة، أفرادها (سيارة، دراجة، دراجة نارية، حافلة، شاحنة) وهذا قليل في المعاجم العامة، ولكنه كثير الورود في معاجم المصطلحات،وهذا النوع من الشرح غير موجود في العين، بحكم طبيعته العامة، و هذا النوع من الطرق في الشرح لم يهتد إليه إلا حديثا.

ج- طريقة التعريف الظاهري، ويقصد به إعطاء مثال أو أكثر من خارج اللغة، كأن يقال في تعريف الأبيض: بأنه ما كان بلون الثلج النقي، أو بلون الملح، وفي تعريف الأصفر ما كان مثل الليمون، و في الأحمر بما كان بلون الدم. وقد ورد من هذا شيء في العين، ففي مادة (بقع) ، البقع: لون يخالف بعضه بعضا، مثل الغراب الأسود في صدره بياض. وفي مادة (بهق) البهق: بياض دون البرص. وفي مادة (دمي) المدمي من الخيل: الأشقر الشديد الحمرة، شبه لون الدم، وكل شيء فيه سواد وحمرة فهو مدمي. وفي مادة (دهس) الدهسة: لون كلون الرمال، يعلوه أدنى سواد يكون في ألوان الرمال والمعز.

---

(١) **سورة الواقعة**، آية ٣٧.

(٢) **مختار، صناعة المعاجم الحديثة**، ص١٢٠.

٢ - ضبط الألفاظ

تهدف المعاجم بشكل أساسي إلى ذكر معاني المفردات وتفسيرها، ولتحقيق هذه الغاية يحرص كثير من مؤلفي المعاجم على ضبط النطق الصحيح للمفردات التي يقومون بشرحها في معاجمهم، لأنهم يدركون أن الكتابة لا تمثل النطق تمثيلا صحيحا في كل لغة، ثم إن الكلمة الواحدة قد يكون لها أكثر من نطق مع أنها تتكون من الحروف نفسها، ووجود اللهجات والازدواج اللغوي، وقدم الألفاظ في اللغة كلها أمور تجعل واضعي المعاجم مهتمين ببيان نطق الكلمات التي تحتاج إلى ضبط، ولو بالحد الأدنى.

وقد أولى علم اللغة الحديث هذا الموضوع اهتماما كبيرا، فظهرت معاجم لغوية متخصصة في النطق. وقد أحس واضعو المعاجم العربية القديمة بأهمية ضبط نطق المفردات التي تحتاج إلى ضبط، ولهم في هذا ثلاث طرق، هي:

أ- ضبط الكلمة بالشكل.

ب- ضبط الكلمة بذكر الحركة على الحرف، كأن يقال: بضم الأول وكسر الثاني، وفتح الثالث، وتسكين الثاني.

جـ- الضبط بذكر وزن الكلمة أو مثالها، مثل: قول الفيروز آبادي: في ضبط مادة (خرك) خرك: كعلم: لج. و خارك، كهاجر: جزيرة ببحر فارس. و خركان، محركة: محلة ببخاراء.

وهذه الأساليب التي وضعت لضبط النطق في المعاجم العربية لم تطبق كلها في معجم واحد، بل كان كل معجم يطبق واحدة فحسب، فالقاموس اعتمد الطريقة الثالثة وهي الضبط بذكر الوزن والمثال، والصحاح من قبله اعتمد طريقة النص على نوع الضبط. أما الخليل بن أحمد فلم يهتم بضبط المفردات كما فعل غيره أو كما ينبغي. وربما كان ذلك منه بسبب انعدام الحاجة في زمنه إلى مثل هذا الضبط فقد كان الرجل يعيش في عصور الاحتجاج اللغوي، حيث لا تزال الفصاحة قائمة في الحواضر والبوادي العربية التقليدية. [١]

وهنا سؤال يفرض نفسه، إذا كان الخليل هو الذي وضع الحركات العربية، على نحو ما هي عليه اليوم تقريبا، فهل قام بذلك قبل العين أو بعد العين؟، فإذا كان الجواب قبل العين، فهذا يعني أنه لم يطبقها في العين، وهذا يثير استغرابا !فكيف للخليل ألا يستخدم الحركات التي وضعها، وهو لم يضعها قطعا إلا بعد أن رأى ضرورة وجودها في النصوص اللغوية، وخاصة القرآن، وقد استشهد في العين بآيات كثيرة منه ؟. ولهذا فغير بعيد أنه ضبط نسخة العين بالشكل، ولكن التشكيل غاب من النسخ التي ظهرت عبر القرون بسبب الناسخين. وما يؤيد هذا الترجيح أن معجم العين لا

(١) أحمد، عبد السميع محمد، **المعاجم العربية**، دار الفكر العربي، ص٣٢.

يزال يحتفظ ببعض التشكيل حتى اليوم، ففي مادة (رأى) قال: ولكنهم يحذفون الهمزة في كل كلمة تشتق من رأيت إذا كانت الراء ساكنة.. وهنا يذكر الضبط بالسكون، و في موضع تال من المادة نفسها يقول: أرني يا فلان ثوبك لأراه، فإذا استعطيته شيئا ليعطيكه لم يقولوا إلا أرنا بسكون الراء، ثم واصل الكلام في هذه المادة حتى قال: وقد يقرأ قوله تعالى: "أرنا الذين أضلانا " على هذا المعنى بالتخفيف والتثقيل، ومن أراد معنى الرؤية قرأها بكسر الراء، فأما"أرنا الله جهرة"، "و أرنا مناسكنا" فلا يقرأ إلا بكسر الراء.

وفي مادة (حيث) ، قال: حيث الثاء مضمومة وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده، ولغة أخرى: حوث. وفي مادة (حرن) حرنت الدابة، وحرنت لغة، فهي تحرن حرانا، وهي حرون. صحيح هنا لا ذكر للحركة، لكن إيراد حرنت مرتين دليل على أن الخليل لم يكن ليفوته ضرورة التمييز بين صور النطق المتعددة للكلمة التي يتولد عنها تنوع في المعنى. وهل كتب الخليل العين لنفسه حتى يقال : إنه ما كان يهتم بضبط نطق الكلمات، وهو يدرك اختلاف الناس في ضبطها وارتباط ذلك بالمعنى.

وفي مادة (حدأ) قال: و الحدأ، مهموز مقصور، (بفتح الحاء) . وفي مادة (عربس) قال: والعربسيس بفتح العين أصوب من كسرها. وهذا يقوي ما ذهبنا إليه من أن النسخة الأصلية للعين كانت مضبوطة بالشكل، و إنما ضاع التشكيل بسبب الناسخين، ولا ننسى أن التشكيل لم يكن معروفا قبل الخليل، وبكل تأكيد مات الخليل قبل أن ينتشر التشكيل الخليلي، ولم يكن كل الناسخين يعرفون هذا التشكيل الخليلي، وهذا قد يكون سببا في إهمال الناسخين للتشكيل من العين.

٣- اهتمامه باللهجات واللغات

يقصد بمعلومات الاستعمال ما يتعلق بتنوع مستويات اللغة، وتنوع المخاطبين بها، ويشمل ذلك معلومات عن قدم اللفظ وحداثته، ودرجة شيوعه، ونحو ذلك من أمور. وكان رأي الخليل أن يجمع في العين ما تكلمت به العرب ، فلا يخرج منها عنه شيء. [١] و في آخر مقدمة العين، قال: بدأنا مؤلفنا بالعين وهو أقصى الحروف، ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب[٢]. والواضح من كلام الخليل السابق أنه كان يريد أن يجمع في كتاب العين الواضح المشهور والغريب المهجور ؛لأنه كان يرى في ذلك حفظا للغة العربية وصونا أكثر لها، ثم إن ما يكون مشهورا عند قبيلة قد يكون غريبا عند أخرى، على الرغم من الغرابة والوضوح فقد وضعت لهما مقاييس زمنية ومكانية، مثل التلقي عن القبائل الفصيحة، والاعتماد على الصريح المنقول،

(١) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٤١.

(٢) **المصدر السابق**، ص٥٥.

والرجوع إلى الجرس والحس، وشيوع الاستعمال، إلا أن الفصل في هذه الأمور أمر نسبي، وهو يعتمد ــ إلى حد ما ــ على الرأي الشخصي والذوق الخاص للعالم[١].

وهنا ينبغي القول: إن الخليل كان معياريا بشكل عام كغيره من علماء اللغة العربية، فهؤلاء اعتمدوا على النصوص الفصيحة من اللغة دون غيرها، وما كانوا يلتفتون إلى اللهجات العامية، إلا ما كان منها موافقا للمعايير الزمنية والمكانية التي وضعوها، وعليه فلا نتوقع أن نجد في العين اهتماما يذكر بتنوع مستويات اللغة وتنوع مستويات المخاطبين بها، وكل ما يمكن أن نجده من هذا، لا يتعدى الإشارة إلى أن هذا اللفظ أو الاستعمال من هذه اللهجة، أومن تلك، أو لغة عالية أو فصيحة. ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في مادة (دشن) الدشن: معرب من الدشن، والداجن منه، وهو كلام عراقي ليس من كلام البادية. وفي مادة (دظ) الدظ: السل بلغة أهل اليمن. وفي مادة (حيث) للعرب في حيث لغتان، واللغة العالية حيث، الثاء مضمومة، وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده، ولغة أخرى: حوث رواية عن بعض العرب لبني تميم. وفي مادة (ترج) الترنج: لغة في الأترج، والرنز لغة في الأرز. وفي مادة (بزخ) البزخ: الجرف بلغة عمان. وفي مادة (بزق) بزقوا الأرض: بذروها، وهي يمانية. وفي مادة (برخ) البرخ: الرخيص بلغة عمان. وأهل عمان يقولون: كيف أسعاركم؟فيقول المجيب: برخ، هكذا، أي: رخيص. وفي مادة (هيس) ، الهيس: أداة الفدان بلغة أهل عمان. وفي مادة (ويج)، خشبة الفدان بلغة عمان.

يتبين مما سبق أن الخليل قد عني باللهجات واللغات عناية كبيرة، وتناول كثيرا من ظواهرهما. [٢] وقد تضمن معجم العين عينات واسعة مما جمعه الخليل ودرسه من اللهجات العربية الموجودة في الحجاز ونجد وتهامة أكثر من سائر المناطق، و هو كان يميز بين لغة البدو (الأعراب) ولغة الحضر أهل الأمصار. [٣]

٤ - عرضه الآراء اللغوية

كان الخليل يذكر أقوال غيره، وقد يستشهد بها دون تعليق أو مناقشة، وكان أحيانا ينتقد بعض الآراء ويصحح ما كان منها محتاجا إلى تصحيح، وقد يذكر القول وصاحبه، وقد يذكر الرأي دون ذكر صاحبه، وكثيرا ما يقول: والعرب تقول، وقالت العرب. ففي مادة (أس) ذكر بيتا للعجاج قال فيه:

مباركٌ للأنبياء خاتَمُ معلِّمٌ آيَ الهدىَ معلَّمُ. ثم قال: فلو قال: خاتِم ــ بكسر التاء ــ لم يحسن.

(١) أحمد، عبد السميع محمد، **المعاجم العربية**، ص٣٣.

(٢) آل ياسين، محمد حسين، **الدراسات اللغوية عند العرب حتى القرن الثالث الهجري**، ص٢٥٤.

(٣) السامرائي، إبراهيم، **حكاية كتاب العين**، ص١٥٢.

وفي مادة (أيل) قال: ومنهم من يقصر إيلياء فيجعله إلياء. فلم يذكر هؤلاء الذين يقصرون. وفي مادة (حبش) قال: وفي لغة يقولون: الحبشة على بناء سَفَرة، وهذا خطأ في القياس؛ لأنك لا تقول: حابش كما تقول: فاسق و فَسَقةٌ، ولكنه سار في اللغات وهو في اضطرار الشعر. فلم يحدد الخليل اللغة التي تكلم عنها، ولكنه بين سبب انتشار هذا الأسلوب وأبدى اعتراضه عليه. وفي مادة (حلو) بعد أن ذكر... حليت السويق: قال: ومن العرب من همزه فقال: حلأّت السويق، وهذا غلط. وفي مادة (أيس) قال: فأما أيستُهُ فهو خطأ إلى أن يجيء في لغةٍ على التحويل، وهو قبيح جدا، والصواب آيسته. وتقول: أيأسته فاستيأس، والمصدرمنه إياس. فأما العامة فيحذفون الهمزة الأخيرة، و يفتحون الياء عليها فيقولون: أيَسْتُه إياسا. وفي مادة (برى) قال: وناس يقولون: بروت، وهم الذين يقولون: قلوت البر أقلوه. والياء أصوب. وفي مادة (برد) قال: قال بعض العرب الحمَّى بريد الموت، ولم يذكر من هؤلاء العرب. وفي مادة (حرب) الحرب نقيض السلم تؤنث وتصغيرها حُريب روايةً عن بعض العرب دون ذكر لهؤلاء العرب أو للرواية أو لسندها. وفي مادة (حزن) قال: الحُزن والحَزن، لغتان، ثم قال في المادة نفسها: وروي عن أبي عمرو: إذا جاء الحزنُ منصوبا فتحوه، وإذا جاء مكسورا أو مرفوعا ضموه. وهنا ذكر اسم أبي عمرو بن العلاء مستشهدا به. وفي مادة (حشر) ذكر قول رؤبة:

وما نجا من حشْرها المحشوش وحْشٌ ولا طمشٌ من الطموش

قال غير الخليل: الحش والمحشوش واحد. وهنا لم يذكر من يخالفه في هذه المسألة.

٥- اهتمامه بالكلمات الدخيلة والمعربة

في معجم العين اهتمام بالمعرب أو الدخيل، من ذلك مثلا: ما جاء في مادة (دهل) حيث قال: لادهل بالنبطية لاتخف. وفي مادة (دهلز) دهليز: إعراب دليج ــ بتشديد اللام ــ فارسية. وفي مادة (بأل) البأَلة: القارورة بلغة بلحارث، وهي بالنبطية بالتاء.

وفي مادة (دعشق) الدعشوقة: دويبة شبه خنفساء، وربما قالوا للصبية والمرأة القصيرة، يا دعشوقة، تشبيها بتلك الدويبة، وليست بعربية محضة لتعريتها من حروف الذلق والشفوية. وفي مادة (دشن) داشن معرب من الدشن. وفي مادة (خيد) الخيد : أصلها خيذ، فارسية فحولوا الذال دالا تعريبا. وفي مادة (حمر) والحميرة: الأشكز، معرب وليس بعربي. وفي مادة (جوسق) الجوسق: القصر، دخيل.

وفي مادة (بهن) البهوني من الإبل: ما يكون بين العربية والكرمانية، دخيل. وفي مادة (بنج) البنج من الأدوية، معرب. وفي مادة (بند) البند: دخيل، ويقال: فلان كثير البنود أي: كثير الحيل. والبند ــ أيضا ــ كل علم من الأعلام للقائد. وفي مادة (أرق) اليارقان واليارجان من أسورة

النساء، وهما دخيلان. وفي مادة (بقم) ، البقم: شجرة، وهو صبغ يصبغ به، ثم قال: وإنما علمنا أنه دخيل لأنه ليس للعرب كلمة على بناء (فعل) بتشديد العين.

وهذه شواهد استخرجتها بشكل سريع لأدلل بها على أن الخليل كان مهتما بأصول الكلمات العربية من حيث مصادرها وأصولها، ويعرف هذا اليوم في الدرس اللغوي الحديث بالتأصيل الاشتقاقي. و قد وضع الخليل في مقدمة العين ضابطاً للكشف عن أصل الكلمة وهو خلوها من الحروف الذلقية والشفوية، وهي (ر، ل، ن) و (ف، ب، م) لأنه يقول: إنها سهلة في النطق، فإذا وردت كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها من هذه الحروف شيء، فهي عنده محدثة، ليست من كلام العرب، فالكلمات الرباعية والخماسية الأصيلة في كلام العرب، لابد أن يكون فيها من هذه الحروف شيء. وقد ضرب أمثلة على ذلك مثبتا صحة نظريته. (١)

٦- تناوله لقضايا نحوية وصرفية ولغوية

اهتم الخليل بالقضايا الصرفية والإملائية بشكل كبير في كتاب العين، مع أنه وضعه لبيان معاني الألفاظ، وليس لمثل هذه الموضوعات، ومن ذلك على سبيل المثال: ذكره الفعل ومصدره، وإشارته إلى أنه متعد، كما جاء في مادة (عد) عددت الشيء عدا: حسبته وأحصيته. و قد تحدث عن المزيد في الفعل وطرق زيادته، فقال: وإنهم ليتعددون، أو ليتعادون، وهم يتعادون. وفي مادة (عفنجج) تكلم عن الوزن الصرفي، فقال: العفنجج من الناس: كل ضخم اللهازم ذو وجنات أكول فسل، بوزن فعنلل. وفي هذا المثال يشير إلى زيادة النون، وتضعيف الجيم.

وكثيرا ما كان يتطرق إلى الجمع، ففي مادة (عنز) العنز: النسر، وجمعه: عنوز. وفي مادة (عد) ذكر صيغة الجمع، فقال: العد: مجتمع الماء وجمعه أعداد. وكذلك في مادة (عش) وجمع العش: عششة. وذكر أن جمع عشة: عشات. وكذلك فرق بين المذكر والمؤنث فقال: وامرأة عشة، ورجل عش: دقيق عظام اليدين والرجلين. وفي مادة (هجع) قال: قوم هجع وهجوع، وهاجعون، وامرأة هاجعة، ونسوة هجع و هواجع وهواجعات. فذكر صيغة المفرد، والجمع بنوعيه : المذكر السالم، وجمع التكسير، ولجنسيهما: المذكر والمؤنث. وفي مادة (عجف) رجل أعجف، وامرأة عجفاء، وتجمع على عجاف، ولا يجمع أفعل على فعال غيرهذا، رواية شاذة عن العرب.

وفي مادة (تحف) التحفة: (أبدلت التاء فيها من الواو) إلا أن هذه التاء تلزم في التصريف كله، إلا في (يتفعل) كقولهم: يتوحف. وفي مادة (ثفي) ... ويقال: قدر مُؤْثفاةٌ بوزن مُفَعْلاةٌ، وإنما هي مؤفعلة، لأن أثفى يثفي: أفعل يفعل، ولكنهم ربما تركوا ألف أفعل ثابتة في يؤفعل؛لأن أفعل

(١) الفراهيدي، **معجم العين**، ص٤٧.

أخرجت من حد فعل الثلاثي فجعلت بوزن الرباعي، وكذلك: فعل وفاعل كأنها صارت عندهم بوزن فوعل وفعيل وأشباه ذلك، فأتموها في يفعل بتمام ما كان فيها من الفعل الماضي. وفي مادة (حدأ) قال: والحدأ: مهموز مقصور (بفتح العين) شبه فأس تنقربه الحجارة محددة الرأس. وفي مادة (دسو) دسا يدسو دسوا، ودسوة، وهو نقيض زكا يزكو زكاء وزكاة. وهنا يورد صيغاً مختلفة للفعل وللمصدر.

وفي مادة (كتع) الكتع من أولاد الثعلب أردؤها، ويجمع كتعان، وقوم كتعون وأكتع: حرف يوصل به(أجمع) تقوية له، ليست عربية، ومؤنثه: كتعاء. تقول: جمعاء كتعاء، وجمع كتع، و أجمعون أكتعون، كل هذا توكيد. وفي مادة (لكع) لا يقال : ملكعان إلا في النداء؛ ياملكعان، و يا مخبثان ويامحمقان، و يامرقعان.

وفي مادة (لو) ، لو: حرف أمنية: كقولك: لوقدم زيد، {لو أن لنا كرة}، فهذا قد يكتفى به عن الجواب. وقد تكون لو موقوفة بين نفي وأمنية، إذا وصلت بلا. كقولك لولا أكرمتني، أي: لم تكرمني، و لا يكون جواب لو إلا بلام إلا في اضطرار الشعر. وفي مادة (لولا) ، وأما لولا فجمعوا فيها بين لو ولا في معنيين، أحدهما: لو لم يكن، كقولك: لولا زيد لأكرمتك، معناه: لو لم يكن، والآخر: هلا، كقولك: لولا فعلت ذاك، في معنى: هلا فعلت، وقد تدخل ما في هذا الحد في موضع لا كقوله تعالى: لو ما تأتينا بالملائكة، أي: هلا تأتينا، وكل شيء في القرآن فيه لولا يفسر على هلا، غير التي في سورة الصافات: فلولا أنه كان من المسبحين، أي: فلو لم يكن. وفي مادة (قال: وكل مفعول رُد إلى فعيل فمذكره ومؤنثه بغير الهاء (حق) . وفي مادة (رأي) قال: وتقول في يفعل وذواتها من رأيت: يرى، وهو في الأصل، يرأى، ولكنهم يحذفون الهمزة في كل كلمة تشتق من{رأيت} إذا كانت الراء ساكنة.. ثم قال: واعلم أن ناسا من العرب لا يرون أن يهمزوا الهمزة الأولى من الرئاء كراهية تعليق ألف بين همزتين، ولذلك قالوا: ذؤابة فهمزوا، ثم جمعوا الذوائب بلا همز كراهية الذآئب، وأما من همز الرئاء فمن أجل المدة بعد الألف ليس من بعدها شيء يعتمد عليه فقد يسقط في الوقوف، وفي اضطرار الشعر فيما يقصرون من الممدود، ولذلك جاز الهمز فيها ولم يجز في الذوائب. وفي مادة (دري) .. والعرب ربما حذفوا الياء من قولهم: لا أدر في موضع لا أدري، يكتفون بالكسرة فيها كقول الله جل وعز: {والليل إذا يسر}والأصل يسري. وفي مادة (ذخر) تكلم عن المماثلة بشكل مفصل. وفي مادة (حذم) تكلم عن بناء حذامِ وما على شاكلتها من كلمات.

ولو تتبع المرء كل القضايا الصرفية والنحوية والإملائية التي وردت في العين لاحتاج إلى دراسة واسعة، وربما أكثر من دراسة. ولكن يكفينا ما قدمنا من شواهد على أن الخليل تناول قضايا

نحوية وصرفية وإملائية في معجم العين..

٧- طريقة الوصول إلى اللفظة في العين

الألفاظ في العين مرتبة على أساس المخارج كما حددها الخليل ورتبها تصاعدياً من الحلق إلى الشفتين. ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م، و ا ي، همزة. فلابد للمرء من حفظ الحروف العربية على هذا الترتيب. ثم لابد من تجريد الكلمة من الحروف الزائدة فيها وإرجاعها إلى أصلها الثنائي أو الثلاثي، أو الرباعي أو الخماسي. بعد ذلك ينبغي النظر إلى أسبق حرف فيها من حيث ترتيب الخليل الصوتي فهي تكون في باب ذلك الحرف. فإن كان أسبق حرف صحيح فيه هو الهاء فهي موجودة في باب الهاء وإن كان أسبق حرف فيها هو الدال فهي في باب الدال، وإن كانت خالية من الحروف الصحاح عنده ومكونة من أحرف العلة والهمزة فهي في آخر باب من كتاب العين سماه باب الأحرف المعتلة.

والخطوة التالية للوصول إلى معنى الكلمة في العين هي النظر في هذه الكلمة من حيث عدد حروفها الأصلية، أي: أهي ثنائية أم ثلاثية أم رباعية أم خماسية، فلئن كانت رباعية فهي في الرباعي من ذلك الحرف، وإن كانت ثلاثية صحيحة فهي في الثلاثي الصحيح وإن كانت ثلاثية معتلة فهي في الثلاثي المعتل وإن كان بها حرفا علة فهي في اللفيف من ذلك الحرف، وإن كانت ثنائية فهي في الثنائي من ذلك الحرف، وإن كانت خماسية فهي في الخماسي من ذلك الحرف. فإن أردت البحث عن كلمة استماع فهي في باب حرف العين في بناء الثلاثي الصحيح وتحديداً في كتاب العين والسين والميم. وإذا أردت البحث عن كلمة بحث فهي في حرف الحاء في بناء الثلاثي الصحيح وتحديدا في باب الحاء والثاء والباء. وإذا أردت البحث عن معنى إرهاب فارجعها إلى حروفها الأصلية، ثم رتبها على طريقة الخليل وستكون هكذا: هرب ؛ لأن الهاء قبل الراء و الراء قبل الباء، فهي ستكون في باب الهاء والراء والباء من الثلاثي الصحيح في حرف الهاء. وإذا أردت البحث عن زكاة فارجعها إلى حروفها الأصلية، ثم رتبها على طريقة الخليل، وستجدها هكذا: كزو، فالكاف أسبق من الزاي والزاي أسبق من حرف العلة، وهي ستكون في باب الكاف والزاي من الثلاثي المعتل في حرف الكاف.

٨- منهجه في الاستشهاد

وضع الخليل معجم العين ليجمع فيه كلام العرب وليقوم بشرح معاني ألفاظهم للناس بشكل صحيح، وقد لجأ إلى الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأراجيز العرب وأشعارهم وأمثلتهم وأقوالهم في كثير من الكلمات التي أوردها في معجمه، و الاستشهاد بنصوص لغوية جاءت لسببين، الأول: أنها نوع من الاستعانة بالسياق اللغوي في تحديد المعنى بشكل دقيق، فالمعنى للفظ يختلف

من سياق إلى آخر، والآخر هو إظهار دليل من هذه المصادر اللغوية على صحة هذه الألفاظ التي وردت في المعجم وأنها من كلام العرب ولغتهم الفصيحة.

وكان الخليل يستشهد في معجمه بالقرآن والحديث والشعر والرجز وبعض الأقوال والأمثال، وقد تتبعت قسما كبيرا من شواهده في العين، وسأقدم فيما يلي بعض الأمثلة على منهجه في الاستشهاد بالشعر والقرآن والحديث:

أولاً: الاستشهاد بالشعر والرجز

أكثر شواهد العين من الشعر والرجز، وأكثر الأراجيز التي في العين أراجيز العجاج، و رؤبة بن العجاج، وقد أحصيت في المجلد الأول من العين طبعة طهران خمسين اسماً لشاعر وراجز منهم شاعرة واحدة هي الخنساء. وأكثر الشعراء الذين استشهد بشعرهم الخليل في هذا القسم الذي يمثل في الحجم ثلث العين : الأعشى وذو الرمة والنابغة ولبيد وامرؤ القيس.

ووجدت أنه يستشهد بالشعر ضعف استشهاده بالرجز ؛فمقابل أربعمائة شاهد شعري وجدت مائتي شاهد من الرجز،

وتذكر بعض الإحصائيات الشاملة لشواهد الشعر في كتاب العين أن هناك سبعة شعراء استشهد بشعرهم في العين أكثر من مئة مرة لكل واحد منهم، وهم رؤبة بن العجاج، والعجاج، وذو الرمة، والأعشى، ولبيد، ومطيع بن إياس، وامرئ القيس[1].

وطريقة الخليل في الاستشهاد بالشعر كما يلي:

١- قد يأتي بالشاهد كاملا بعد شرح اللفظ مع ذكر القائل، كما فعل في مادة (أبر) قال طرفة:

وليَ الأصلُ الذي في مثله يصلح الآبرُ زرعَ المؤبترْ .

فهو كثيراً ما يقول: قال فلان بالاسم كما فعل في مادة (عربس) فقد ذكر شاهدين فيها للطرماح والعجاج بالاسم. وفي مادة (زوع) ذكر شاهداً لذي الرمة. وفي مادة (سنقل) ذكر شاهداً للأعشى. وفي مادة (شعب) استشهد للطرماح وللأعشى و لذي الرمة و للكميت ولأبي داود وللفرزدق ولسهم الغنوي وامرئ القيس.

٢- وقد يورد بيتا دون تحديد لقائله، و يجيء به بعد شرح معنى اللفظة. كما فعل في مادة (أبل) الأبَلُّ: الشديد الخصومة. قال:

مارس القوم إذا لاقيتهمْ لا بأريبٍ أو بخلافٍ أبَلّ

وكذلك فعل في مادة (طلق) أورد بيتاً ولم يحدد قائله، ولم يقل قبله قال الشاعر.

(١) السامرائي، إبراهيم، **حكاية كتاب العين**، ص١٥٥.

جرى طَلقاً حتى إذا قيل قد دنا تداركه أعراق سوء فبلَّدا

لكنه أورد له رواية أخرى بقوله : ويروى **تنازعه أعراق سوءٍ**. وقد أورد شواهد ولم ينسبها في مادة (ضنك) وفي مادة (شرذم) وفي مادة (عنشط) وفي مادة (ظن) ، و اكتفى بكلمة قال قبل إيرادها. وقد يقول: قال الراجز أو قال الشاعر دون تحديد اسم كما فعل في مادة (ضمن) في شرح معنى الضمِن، وفي مادة (سه) أورد عبارة: قال الراجز، ولم يسمه.

٣- وقد يأتي بأقل من شطر في البيت ولا يذكر له قائلاً، و يستشهد به بعد شرح معنى اللفظة مثلما فعل في مادة (رمح) فبعد أن فسر قسما من المعنى قال: ويقال رمح الجندب، أي: ضرب برجله، قال:.... **والجُندُبُ الجون يرْمَحُ**، وتمام البيت كما ذكر المحققان هو:

وهاجرةٍ من دون ميّةَ لم تقلْ قلوصٌ بها، والجندب الجَونُ يرمح.

وفي مادة (أرب) فعل الشيء نفسه فلم يكمل البيت ولم ينسبه وإنما قال: والمستأرب من الأوتار: الجيد الشديد، ثم أتى بالشاهد بعد شرح معنى اللفظ، قال:

..... **من نزع أحصدُ مستأرباً**. وذكر المحققان أنه من بيت للنابغة.

وكذلك فعل في مادة (أبس) قال الشاعر: **ولاتأبَسَنْهُ بالذي كان فاعلُه**. أي لا تلمه.. . فقد أتى بالشاهد ناقصا وغير منسوب، ثم فسر معناه. وفي مادة (أشب) ذكر شاهداً يتكون من عجز بيت، قال: **فمن تأشَّبَ، لادينٌ ولا حسبُ**، وقدمه بعد شرح اللفظ ولم ينسب الشاهد. وفي مادة (أبن) قال: قال الراجز: **فامدح بلالاً غير ما مُؤَبَّنِ**. فلم يذكر الراجز . وفي مادة (أبر) استدل من الرجز قال: **حيث تلاقي الإبرةُ القبيحا**. ولم ينسب هذا الشاهد إلى أحد.

٤- وقد يورد جزءًا من بيت وليس شطراً كاملاً مع تحديد قائله كما فعل في مادة (بأس) المبأسة: اسم الفقر، وهي التي عنى عديَّ بن زيد حين قال: **وفي غير مَبْأَسةٍ**، ولم يكمل.

٥-وقد يذكر الشاعر ولا يقدم الشاهد كما فعل في مادة (أسو) قال: وجعل الأعشى الأُسى مصدر الأَسوة، فلم يذكر البيت وإنما أشار إليه.

وفي العين من هذه الشواهد غير المنسوبة كثير تمكن المحققان للعين من نسبة قسم منها لأصحابها، وأحسب أن ذكر شطر من البيت أو الشاهد أو الإشارة إليه يعد مؤشراً على أن الخليل كان يكتب من الذاكرة، أو يملي على غيره. ويعزز هذا ما ذكر ه ابن النديم من أن الليث قال: وكان الخليل يملي علي ما يحفظه، و ما يشك فيه يقول لي : سل عنه، فإذا صح فأثبته[١].

والخليل في العين وسع مجال الاستشهاد بالشعر حيث استشهد بشعر بعض العباسيين مثل بشار (ت١٦٧هـ/٧٨٣م) الذي أعرض عنه العلماء لأمور تتعلق بالجوانب الأخلاقية في شعره وسلوكه

(١) ابن النديم، محمد بن إسحق،**كتاب الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، ص٧٠.

على الرغم من أنه داخل في الإطار الزماني لعصر الاستشهاد.

واستشهد بشعر بعض الشعراء الجاهليين الذين لا يحتج بشعرهم شيوخه ومعاصروه لمخالطتهم الأعاجم مثل عدي بن زيد، وأبي داؤد الإيادي، وأمية بن الصلت وبعض المتقدمين من الإسلاميين مثل الطرماح والكميت. قال أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ/٧٧٠م) عن عدي بن زيد: والعرب لا تروي شعره؛لأن ألفاظه ليست بنجدية، وقد كان نصرانيا من عباد الحيرة، قد قرأ الكتب[١]. وقال الأصمعي (ت٢١٣هـ/٨٢٨م) : عدي بن زيد وأبو داود الإيادي لا تروي العرب أشعارهما. وقال: الكميت جُرْمُقانيٌّ من جراميق الشام لا يحتج بشعره. وقال أيضاً: ذكر الطِّرِماح عند أبي عمرو بن العلاء، فقال: رأيته بسواد الكوفة يكتب ألفاظ النبيط، فقلت: ما تصنع بهذه ؟ قال: أُعرِبها وأدخلها في شعري[٢]. وكل هؤلاء استشهد الخليل بشعرهم دون مراعاة لضوابط من سبقه من العلماء أو عاصره، وبلغت نسبة عدد الشعراء العباسيين الذين استشهد الخليل بشعرهم في العين أربعة في المائة فقط من مجموع الشعراء الذين استشهد بهم، ونسبة عدد الشواهد الشعرية العباسية سبعة عشر بالمائة من مجموع الشواهد في العين[٣]. وقد استشهد لبشار بن برد (ت١٦٧هـ/٧٨٣م) ، كما في مادة (دهل) حيث استشهد ببيت له يهجو فيه الطرماح.

فقلت له: لادَهْلَ مالكَمْلِ بعدما مالم نيْفَق التُّبان منه بعاذر

وهو ممن لا يستشهد بشعرهم عند جمهور اللغويين.

ثانياً: الاستشهاد بالقرآن

أما طريقته في الاستشهاد بالقرآن، فهو غالبا يأتي بمعنى اللفظة، ثم يستدل عليه بما ورد في القرآن، وقد يقدم الشاهد القرآني ثم يفسر معنى اللفظ كما فعل في مادة (حق) وقول الله عز وجل: ﴿حقيق عليَ ألا أقول على الله [٤]﴾ معناه: محقوق كما تقول واجب. وقد يأتي بمعنى الآية دون ذكرها كما فعل في مادة (حطب) حيث قال: والحطب في القرآن : النميمة. وقد يأتي بالشاهد القرآني دون أي عبارة تسبقه كما فعل في مادة (خلص) فقال: وخلص له ديني: ﴿ إنه من عبادنا المخلصين[٥]﴾ والمخلصون: المختارون. وكذلك فعل في مادة (رقد) فقد ذكر الآية ولم يأت قبلها

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم،(ن٢٧٦هـ/٨٨٩م) **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ص٢٣٠.

(٢) **المصدر السابق**، ج١، ص ٤٥٩.

(٣) السامرائي، إبراهيم، **حكاية كتاب العين**، ص١٥٥.

(٤) **سورة الأعراف** / ١٠٥.

(٥) **سورة يوسف** /٢٤.

بعبارة قال الله أو نحوها. وقد يأتي بالآية بعد شرح اللفظ كما فعل في (دلو) و أدليتها: أرسلتها في البئر. وقول الله عز وجل: فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام. وقد يأتي بالكلمة القرآنية المقصودة دون أن يسبقها بعبارة قول الله أو قال الله، كما فعل في مادة (حن) ﴿وحنانا من لدنّا[١]﴾، أي: رحمة من عندنا. وكذلك فعل في مادة (خلد) بقوله: وتفسير ﴿مُخلَّدون[٢]﴾ مُقرَّطون، فلم يذكر إلا كلمة من الآية، ولم يسبقها بكلمات مثل : قال الله أو كما في قوله عز وجل. وقد يأتي بآية عرضا كما في مادة (بهم) حيث قال: وسئل ابن عباس عن قوله عز وجل: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾[٣] فلم يبين أدخل بها أم لا ؟فقال: أبهموا ما أبهم الله. فهو لم يأت بالآية للاستشهاد بها، وإنما استشهد بقول ابن عباس. وقد يأتي بالمعنى ثم بالآية كما فعل في مادة (حوز) حيث جاء بالمعنى ثم قال: ومنه قوله تعالى: ﴿أو متحيزا إلى فئة[٤]﴾ أي: متنحيا. وقد يأتي بمعنى اللفظ من عنده ثم يستشهد له بأنه المقصود في القرآن دون أن يأتي بالآية: كما فعل في مادة (خمط) بقوله: وفي القرآن يريد بالخمط هذا المعنى، ويشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتيْ أُكُل خَمْط ﴾[٥]. ولم يكن الخليل يكتفي بالشواهد القرآنية الموجودة المتواترة بل كان يستشهد بالقراءات القرآنية المختلفة، ويدلل بها على ما يذهب إليه من قضايا صوتية وصرفية ودلالية ووجدته كثير الاستشهاد بالقراءات دون تضعيف أيٍّ منها أو الحكم عليها بالخطأ وعدم القبول على الرغم من أن النحاة واللغويين القدامى لم يكونوا يقبلون كل القراءات للاحتجاج والاستشهاد، بل منهم من رفض بعض القراءات كما هو معروف في كتب القدامى[٦].

وطريقته في الاستشهاد بهذه القراءات ليست واحدة فقد ينسبها إلى أحد العلماء كما فعل في الآية {إلا من خطف الخطفة} فقد ذكر أن الحسن البصري كان يقرأها ﴿إلا من خطَّف ﴾[٧] بتشديد الطاء، مادة (خطف) . وأحيانا لا يحدد صاحب القراءة وإنما يأتي بالآية كما هي في المصحف ثم يذكر القراءة كما فعل في قوله تعالى: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان[٨]﴾، ومن خفف قال خُطْوات

(١) **سورة مريم** /١٣.

(٢) من قوله تعالى:﴿ يطوف علبهم ولدان مخلدون ﴾ **سورة الإنسان** /١٩ **وسورة الواقعة** / ١٧.

(٣) **سورة النساء** /٢٣.

(٤) **سورة الأنفال** /١٦.

(٥) **سورة سبأ** /١٦.

(٦) العمراوي، محمد عبد الفتاح، **أصول النحو في كتاب معاني القرآن للفراء**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،١٩٩٢م، ص٤٢.

(٧) **سورة الصافات** /١٠

(٨) **سورة الأنعام** /١٤٢.

مادة (خطو) . ومن قرأ ﴿أكاد أَخفيها﴾[1] فهو يريد أُظهرها، وأُخفيها، أي: أُسِرُّها من الإخفاء. وقد قرئ: فلا تعلم نفسٌ ما أَخفِي لهم} أي: أظهر. ولم يذكر لمن هذه القراءة. مادة (خفي) . و في مادة (أخذ) قال: وفي القرآن ﴿ لَتَخِذْتَ عليه أجراً ﴾ فلم يذكر أنها قراءة خاصة لمجاهد كما ذكر المحققان وإنما أوردها ليستدل بها على تسهيل التاء في قوله تعالى﴿ لو شئت لتّخذت عليه أجراً[2]﴾.

ثالثاً: طريقته في الاستشهاد بالحديث

لا تختلف طريقته في الاستشهاد بالحديث كثيرا عن طريقته في الاستشهاد بالقرآن فغالبا ما يستخدم عبارة: وفي الحديث قبل أن يورده أو يشير إليه. ففي مادة (حمر) قال: وفي الحديث غلبتنا عليك هذه الحمراء، يعني العجم والموالي، فالسمرة ألوان العرب والحمرة ألوان العجم. وقد يشير إلى إلى الحديث دون ذكره كما فعل في مادة (رفه) الإرفاه: الإدهان، وقد نهى رسول الله عن الإرفاه. وقد يستخدم عبارة : وعن النبي أنه قال: وعبارة وكان يقول، أي: النبي: وقد يقول: وجاء في بعض الحديث، ثم يذكر الحديث أو القسم الذي يعنيه في الاستشهاد، كما فعل في كل هذا المادة (أمم) وقد يورد الحديث من غير نص على أنه حديث، كما فعل في مادة (بهم) فقد أورد حديث : ((يحشر الناس يوم القيامة غُرلاً بُهماً)) [3] ولم يشر إلى أنه حديث. وفي مادة (جنب) قال نهى رسول الله، ولم يذكر نصا للحديث مكتفيا بذكر الحكم الشرعي وهو النهي. ونادراً ما يذكر راوي الحديث كما فعل في مادة (دوم ــ ديم) حيث قال: وفي حديث عائشة. وذكر المحققان أن هذا مأخوذ من الأزهري الذي أخذه عن العين. وهنا يجب الإشارة إلى أن الخليل لا يذكر السند للحديث ولا من قام بروايته، ولا يتحدث عن فصاحة من قام بنقل الحديث، وهل نقله نصا أم نقل معناه دون ألفاظه؟ إنما كان يستشهد بالحديث على نحو من الأنحاء التي تمت إليها الإشارة وكفى. وهذا يعني أحد أمرين : إما أنه يرى صحة هذه الأحاديث، وإما أن موقفه من الأحاديث كان مخالفا لمواقف جماهير اللغويين من قبله ومن بعده، و من كثرة استشهاده بالحديث يتضح أنه ليس على مذهب المتشددين من أهل اللغة الذين لم يقبلوا الاستشهاد بالأحاديث إلا نادراً، وإن كانت صحيحة السند والمتن بسبب أنهم يرون بأنه يجوز روايتها بالمعنى وأن الحديث لم يجمع ويدون إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بزمن طويل بعد أن استشرى اللحن وضعفت الفصاحة بين العرب. ويروى أن سيبويه لم يستشهد بالحديث إلا في سبعة مواضع من الكتاب وهو أشهر تلامذة الخليل وأكثرهم نقلاً عنه[4]. ومن يطالع هوامش العين ومتونه يجد أن شواهد من الحديث بالعشرات في كل جزء منه،

(١) **سورة طه** /١٥.
(٢) **سورة الكهف** /٧٧.
(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو في البخاري ومسلم.
(٤) العمراوي، محمد عبد الفتاح، **أصول النحو في كتاب معاني القرآن للفراء**، ص١٥٣.

وقد أحصيت منها ستين مرة استشهد فيها بحديث في الجزء الأول من العين طبعة طهران، وهو يمثل ثلث العين في هذه الطبعة. وبناءً عليه يمكنني أن أقول إن عدد مرات الاستشهاد بالحديث تمثل ربع مرات الاستشهاد بالقرآن تقريباً.

٩ - المآخذ على العين

وجهت انتقادات وأثيرت بعض الشبهات حول كتاب العين كان بعضها مرتبطاً بظهور العين بعد وفاة الخليل بحوالي سبعين سنة، وكانت وفاة الخليل سنة ١٧٥هـ، و ظهرت بالبصرة نسخة من العين سنة ٢٤٨هـ ؛ ولذلك تفاجأ الناس بهذا الكتاب الذي لم يعرفوا له مثيلا، ولم يسمعوا عنه شيئا من الخليل في حياته، ولا من قبل تلاميذ الخليل ومعاصريه، فمعظم تلاميذ الخليل ومعاصريه، تفاجأ بالكتاب كما تفاجأ به غيرهم، وعذر هؤلاء أن كتابا بحجم العين لمؤلف بمنزلة الخليل ومكانته العلمية، لا يمكن أن يختفي كل هذه المدة الزمنية، ثم يظهر للناس فجأة من غير أن يثير دهشتهم واستغرابهم وانبهارهم وشكهم، فليس من العادة أن يؤلف عالم كتابا فريدا في فن من الفنون، ثم يخفيه عن الناس، ولا يظهره إلا على أحد تلامذته، ثم يظل الكتاب مخفيا عن الناس، ولا يظهر لهم إلا بعد وفاة هذا التلميذ بزمن.

ومن الأسباب التي دفعت إلى الارتياب في صحة نسبة العين إلى الخليل، ما وقع في الكتاب من أخطاء وتصحيفات وأراء أو شواهد أو تقسيمات غير دقيقة أو سليمة أو مخالفة لما عرف عن الخليل من آراء علمية، جعلت بعضا من العلماء يشك أن يكون العين من عمل الخليل، وهو إمام في اللغة والعلم، فهؤلاء لا يمكنهم التصديق بأن يقع الخليل في مثل هذه الأخطاء.

وفي حقيقة الأمر، فإن مثل هذه التصحيفات والأخطاء، وقع معظمها من قبل النساخ والوراقين، وغير بعيد أن يكون قسم من الأشياء التي انتقد كتاب العين بسببها قد وضع في العين عمداً من قبل أعداء الخليل وحساده وأتباعهم المتعصبين عن طريق نساخ غير أمناء.

أو لم يكن بعض هؤلاء الذين سارعوا إلى الطعن في العين أصحاب معاجم اتضح أنهم اعتمدوا فيها كثيرا على العين؛ على الرغم من الطعن والتشكيك الذي قاموا به ضد العين. فهل صنيعهم هذا إلا من قبيل الحسد والغيرة الشخصية التي جعلتهم يقومون بهذه الحملة العنيفة ضد العين، وضد ناقله الليث بن مظفر راوي كتاب العين الوحيد.

ذكر السيوطي (٩١١هـ/١٥٠٥م) أنه راجع كتاب استدراك الغلط الواقع في العين لأبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ /٩٨٩م) من أوله إلى آخره فوجد أن غالب ما خطأ فيه العين كان من جهة التصريف والاشتقاق : كذكر حرف مزيد في مادة أصلية أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ونحو ذلك،

و بعضه ادّعي فيه التصحيف، وأما أنه يُخطأ في لفظة من حيث اللغة بأن يقال هذه اللفظة كذبٌ، أو لا تعرف، فمعاذ الله لم يقع ذلك[١].

فكل الذين شككوا في صحة نسبة العين للخليل، أو اتهموا الليث بوضعه لمكاسب مادية، أو طعنوا فيه بأي شكل، كانوا جميعا يقرون بأن ما فيه من نظام التقليبات، وحصر ألفاظ اللغة وأبنيتها، والترتيب الصوتي الذي جاء فيه، كان من فكر الخليل وعبقريته، وهذا يعني أنهم ما نقموا من العين إلا لأمور غير جوهرية فيه. ويكفينا قول الأزهري: وهو من أشد المتحاملين على العين، بأنه لم يجد خلافا بين اللغويين على أن تأسيس العين كان للخليل[٢].

إن أكثر شيء اتكأ عليه الطاعنون في العين هو ما في الكتاب من مآخذ ومسائل فرعية، لا تؤثر في جوهر الكتاب ولا منهجه العلمي الفريد، وإنما هي أمور متعلقة بخطأ في رسم كلمة أو تفسير معنى لفظة، أو تغيير في ترتيب وتنسيق كلمة، أو في وضع بناء في غير مكانه، أو في إيراد بيت أو شاهد لشاعر متأخر عن عصر الخليل، وكل ذلك لا يقلل من مكانة الكتاب وقيمته العلمية، ومثل هذه الهنات والمآخذ لم تسلم من مثلها كتب كثيرة في تراثنا، فكيف لنا أن نتوقع أن يسلم منها أقدم معجم عربي شامل، ألف في القرن الثاني من الهجرة.

لقد كان كتاب العين عملا علميا غير مسبوق في تاريخ الدراسات اللغوية العربية، ويعود جزء من التشكيك والتشهير الذي حصل للعين إلى ما أحدثه من صدمة في نفوس الذين لا يحبون الجديد المبتكر؛لأنهم مقلدون وغير مبتكرين، فقد وجدوا فيه ما لم يكونوا يعرفون من الدقة والشمول والابتكار، وهؤلاء من العرب والمسلمين، ولما اطلع بعض المستشرقين على العين، لم يصدقوا أن يكون العين من عمل الخليل؛لأنه من غير المألوف أن يصدر عن عربي في وقتها عمل علمي بهذا المستوى الفريد، بل أقول إن بعضا من هؤلاء لا يحب أن يقر للعرب بفضل وإبداع لسبب لا نعرفه، ولكننا نقدره بأن هؤلاء حكموا على العرب حكما سابقا، بأنهم لا يملكون القدرة على ذلك من الناحية الجبلية والخلقية، وإن أتى أحدهم بشيء من ذلك، فهو من تأثره بغير العرب. فزعم بعض هؤلاء أن الخليل أخذ فكرة العين من اليونان عن طريق حنين بن إسحاق، مع أن حنينا ولد بعد وفاة الخليل بعشرين سنة، ونسجت رواية من قبل هؤلاء تفيد أن الخليل اكتسب علما غزيرا من حنين[٣]. وقالوا بأن الخليل كان متأثرا بمنطق أرسطو، مع أن الترجمة العربية لمنطق أرسطو قد

(١) السيوطي، **المزهر**، ج ١، ص ٨٦ .

(٢) الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، الجزء الأول، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٩٦م، ج١، ص ٤١.

(٣) حمودي، هادي حسن، **الخليل و كتاب العين**، ص٧٢.

تمت بعد القرن الثاني من الهجرة، أي : بعد وفاة الخليل التي كانت عام ١٧٥ من الهجرة، أي: عام ٧٩١ م.

وهناك رواية واهية، مفادها أن الخليل تلقى رسالة من ملك اليونان باليونانية، فعكف عليها الخليل شهرا حتى فهمها، ومن هذه الرسالة استفاد وتأثر باليونانيين، وقد وصفها أحد الباحثين بأنها غير معقولة، ونعتها بالرواية الخرافية. [١]ومن عجب أن يتهم الخليل بأنه أخذ عن اليونانيين وتأثر بهم، وهو لا يعرف لغتهم، وليس لهم في لغتهم معجم أو كتاب مرتب ترتيبا صوتيا، حتى يتهم الخليل بأنه نقل عنه وتأثر به. ولذلك فلا مجال لأي زعم أو حديث عن تأثير يوناني على العرب في المعاجم والأصوات. [٢] وأي حديث من هذا النوع هو ضرب من الكلام غير المعقول الذي لا يصدر إلا ممن لا يعرف تاريخ العلاقات الثقافية بن العرب واليونان، أو ممن لا يتخيل أن يكون للعرب أعمال إبداعية كبيرة ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، لأنه يراهم غير قادرين على ذلك.

خاتمة البحث:

قيمة كل عمل علمي يقوم به شخص ما، تتمثل بشكل أساسي فيما أضافه هذا العمل إلى المعرفة الإنسانية في الحقل الذي ينتمي إليه ذلك العمل، و تكون الإضافة العلمية لأي كتاب أو بحث مهمة وكبيرة إذا كانت مبنية على منهجية علمية تتسم بالدقة والشمول، بل إن الدقة والشمول في أي عمل علمي تمثل لب هذا العمل وقيمته الحقيقية، فكل عمل أو بحث يكون منقوصا وضعيفا إذا فقد الدقة والشمول، ولا مبالغة في القول بأن كل بحث يكتسب قيمته وأهميته بناء على المنهجية التي اتبعت فيه، ومن ركائز المنهجية العلمية وعناصرها الدقة والشمول، فإذا كان العمل العلمي دقيقا وشاملا، وآتيا بالجديد المفيد، فإنه يكون عملا رائدا ومميزا، ويؤكد المكانة العلمية الرفيعة لمن قام به، ولذلك يركز أساتذة الدراسات العليا في الجامعات والكليات على المنهجية العلمية التي يقوم بها طلاب الدراسات العليا أكثر من أي شيء آخر، لأنها تقود إلى معلومات ونتائج سليمة وصحيحة إذا كانت سليمة وصحيحة، وتقود إلى معلومات غير سليمة، وتعطي نتائج خاطئة إذا لم تكن مبنية على منهج علمي سليم. وفي خاتمة هذه البحث نؤكد ما يلي:

١- معجم العين عمل علمي فريد في نوعه بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ؛ لأنه أول معجم شامل للألفاظ في العربية ؛ ولأن الأسس الرئيسة التي قام عليها جديدة مبتكرة لم يسبق إليها أحدٌ قبل الخليل، وهي : ترتيب الحروف على أساس مخارجها، وتقسيمه لألفاظ العربية إلى

(١) حمودي، هادي حسن، **الخليل وكتاب العين**، ص٧٣ – ٧٤.

(٢) أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص٣٥.

أربعة أقسام بناءً على حروفها الأصلية، ثم حصره ألفاظ اللغة عن طريق تقليب الأبنية. فالخليل رائد ومبتكر، وليس ناقلاً متبعاً، فلم يكن أحد في العرب قام بما قام به الخليل، ولم يعرف أحد من غير العرب فعل الشيء نفسه، حتى يقال إنه تأثر به، وكل ما يقال في هذا، فهو ظن وتخمين، لا يثبت بأي دليل قاطع؛ فالخليل صاحب الترتيب الصوتي لحروف العربية، وهو صاحب نظام الأبنية، وهو صاحب طريقة التقليبات، وهو صاحب فكرة جمع كل ألفاظ اللغة العربية في كتاب واحد، ولم يكن مسبوقا في أي من هذه الابتكارات.

٢- تسمية معجم الخليل بالعين مرتبطة بالمنهج الذي سار عليه في ترتيب ألفاظه، ولم تكن من غير مسوغ علمي مقنع، بل كانت تسير في تناغم وانسجام مع المنهجية العامة للكتاب، وهي المنهجية التي تقوم على الترتيب الصوتي الذي وضعه الخليل للحروف العربية.

٣- إن معجم العين من عمل الخليل بن أحمد الفراهيدي ؛ على الرغم مما أثير حوله من شبهات، وما عليه من مآخذ، فلا خلاف في أن ما يقوم عليه من مادة أساسية، ومنهجية علمية متبعة و ما به من مزايا لا يمكن أن يكون إلا من عمل الخليل.

٤- استخدم الخليل في العين بعض طرق الشرح الأساسية وبعض طرق الشرح المساعدة بشكل يتطابق مع هو متبع في المعاجم الحديثة، ووضع لمعجمه مقدمة يبين فيها منهجه وبعض القواعد الصوتية والصرفية ، و هدفه من تأليف العين وطريقته في ترتيب ألفاظه.

٥- لم يقصر الخليل معجمه على المفردات وشرح معانيها، بل تناول كثيرا من القضايا النحوية والصرفية والإملائية واللغوية المختلفة، واهتم باللهجات ولغات الأمصار وعني بالدخيل والمعرب.

٦- شغل الخليل بأصول الكلمات فتكلم عن الدخيل والمعرب، وميز بين لهجات القبائل وتطرق إلى ظواهر صوتية وصرفية فيها.

٧- ظل معجم العين مؤثرا بشكل كبير في كل المعاجم العربية التي جاءت بعده، خاصة من ناحية المنهجية، سواء ما تعلق بالترتيب الصوتي، أم بطريقة الأبنية، أم بطريقة التقليبات، فضلا عن كون العين مصدر أساسيا لكل المعاجم اللغوية العربية في المادة اللغوية.

٨- المنهج لم يطبق في كل أقسام العين على مستوى واحد، ففي الثلاثي المعتل تزيد مقلوبات الكلمة عن ستة، وفي الخماسي والرباعي لا مقلوبات.

٩- لم ترتب الألفاظ في معجم العين على مستوى المادة اللغوية على منهجية واحدة، وإنما ترك تقديمها من غير قواعد أو ضوابط، فقد يبدأ المادة اللغوية المعروضة في معجم العين بفعل ماضٍ، وقد يبدأ بمشتق، و قد يبدأ بمصدر، وقد يبدأ باسم. والصيغة الواحدة من المادة ترد أكثر

من مرة في أكثر من موقع من المعالجات داخل المدخل الواحد.

١٠- منهجية العين صوتية وصرفية في وقت واحد ؛ لأنه يقوم على أساس ترتيب الحروف العربية بناءً على مخارجها، بحيث يوضع كل لفظ في بابه بناءً على أسبق حرف فيه وفقاً لترتيب الخليل، فإذا كان أسبق حرف في اللفظ هو اللام فيوضع اللفظ في باب حرف اللام، وإذا كان أسبق حرف في اللفظ هو الهاء فيوضع هذا اللفظ في باب الهاء، وإذا كان أسبق حرف في اللفظ هو القاف فيوضع اللفظ في باب حرف القاف، ولكن الألفاظ في أبوابها مرتبة على أساس أبنيتها؛فاللفظ الثنائي يوضع في باب الثنائي من حرفه، واللفظ الثلاثي يوضع في باب الثلاثي من حرفه، واللفظ الرباعي يوضع في باب الرباعي من حرفه، واللفظ الخماسي يوضع في باب الخماسي من حرفه.

١١- يمكن القول: إن الخليل كان على مذهب لغوي مخالف لمذهب غيره من اللغويين والمعجميين الذين كانوا لا يستشهدون بالحديث إلا نادرا، و لا يعولون كثيراً على الاستشهاد بالقراءات، بل حكم بعضهم على بعض القراءات بأنها غير صحيحة، فالخليل كان مكثراً إلى حد ما من الشواهد القرآنية وشواهد الحديث ؛فهي تأتي بعد الشعر من حيث عددها، لكن ظهر من شواهد العين أنه لم يكن يتحرج من أن يستشهد بالأحاديث والقراءات كغيره من اللغويين والنحاة المحافظين.

١٢- توسع الخليل في شواهده الشعرية ولم يقف عند حدود المحافظين من اللغويين ؛ فاستشهد بشعر شعراء تحفَّظ عليهم علماء اللغة المحافظون مثل: عديَّ بن زيد، وأمية بن الصلت، وأبي داود الإيـــــادي، و الطِّرماح، والكميت الأسدي، وهذا قد يكون مؤشراً على مذهب لغوي عند الخليل يحتاج إلى درس وتتبع ليعرف سبب قبول الخليل لشعر هؤلاء رغم مواقف العلماء المتشددين الرافضين الاحتجاج بشعر هؤلاء الشعراء الذين أكثر الخليل في الاستشهاد بشعرهم. أكثر من هذا فإن في العين شواهد قليلة لشعراء محدثين أو مولدين لم يعترف هؤلاء العلماء المحافظون بشعرهم، كبشار بن برد.